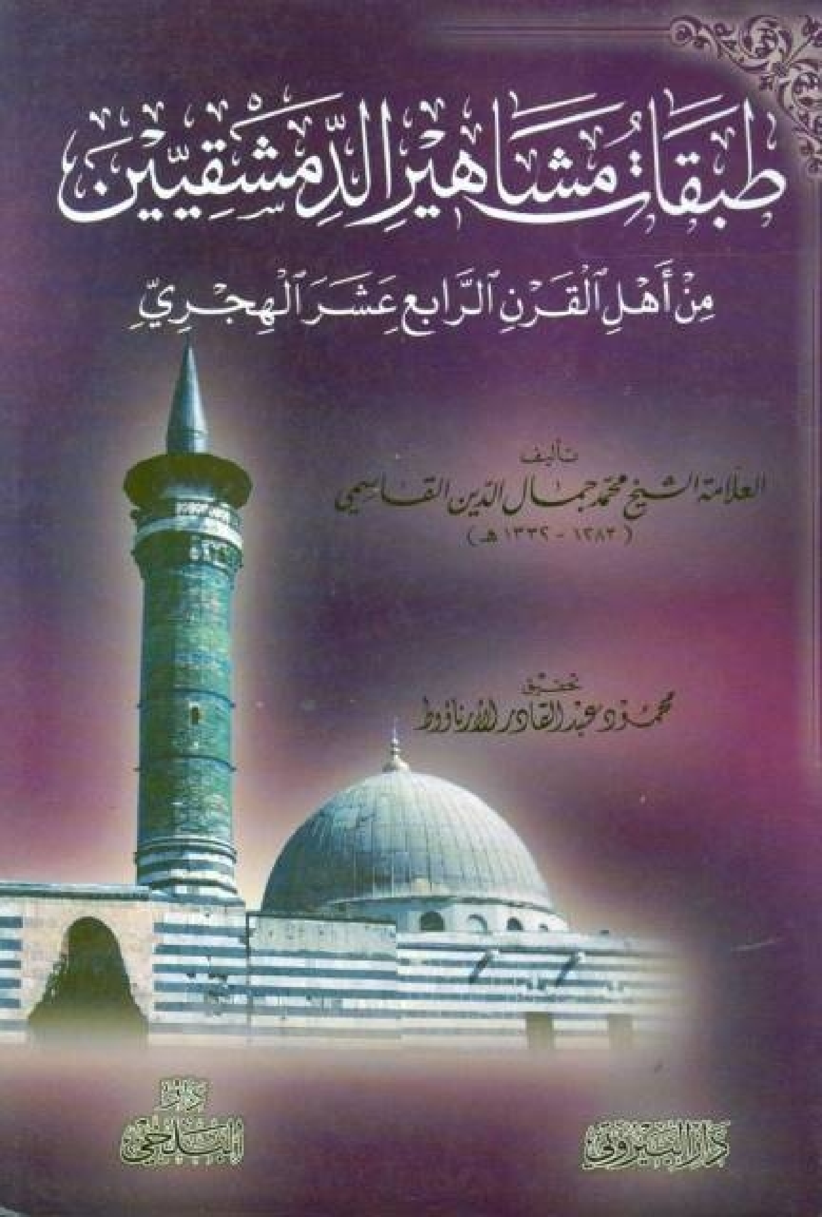
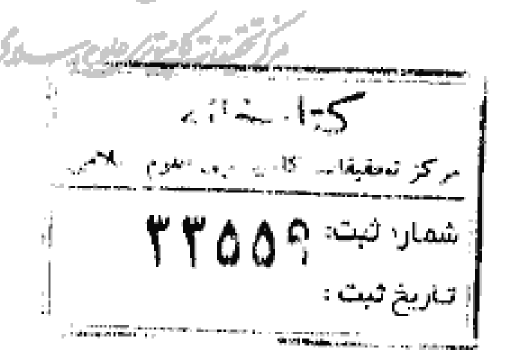

طبقات مشاهير الدمشقيين
من أهل القرن الرابع عشر الهجري
تأليف
العلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي
(١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ)
تحقيق
محمود عبد القادر الأرناؤوط
دار البيروتي

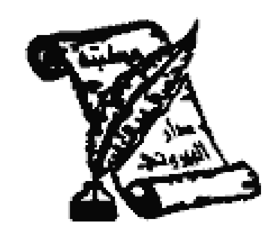


طبقات مشاهير الدمشقيين

من أهل القرن الرابع عشر الهجري

الطبعة الأولى
1427 هـ / 2006 م







دمشق - حلبوني - بناء الخجا - هاتف : 2213966 - 2451574 فاكس : 2243848
ص.ب : 25414 س.ت : 61500 Email : albyrouty@dalylak.com

طبقات مشاهير الدمشقيين

من أهل القرن الرابع عشر الهجري

تأليف

العلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي

(١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ)

تحقيق

محمود عبد القادر الأرناؤوط

دار البلخي

دار البيروتي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإهداء

إلى أخي وصديقي العزيز:

الدكتور نزار أباظة

تقديراً لجهده العظيم في تصنيف أهم كتاب في سيرة المؤلِّف



خادم تراث الأسلاف

محمود الأرناؤوط

* * *


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد: فإن علامة الشام في عصره الشيخ محمد جمال الدين القاسمي قد خلَّف من الآثار المنوعة ما يدل على المنزلة التي تبوّءها في الشام عامة وفي دمشق منها على وجه الخصوص، وكبير تلك الآثار وصغيرها يمتاز بحسن التصنيف، والرأي الحصيف، والتماسك القوي في الطرح والأسلوب من أول كلامه إلى آخره، مع قدرة فائقة على شد القارئ وجعله لا يستطيع مغادرة كتابه دون الفراغ من قراءته، ولقد تأكد لي ذلك حين قمت بتحقيق كتابه الهام «حياة البخاري»[1]. ومن أهم آثار العلامة القاسمي التي لم تنشر بعد كتابه الهام والكبير «تعطير المشام في مآثر دمشق الشام»[2] المحفوظ لدى أسرته بدمشق، وقد تمكنت من الحصول على بعض الأوراق منه المتصلة بتراجم من عرفه من أعلام الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وعَنونها بـ«طبقات مشاهير الدمشقيين من أهل القرن الرابع عشر» وهي من الأهمية بمكان لأن معظم الذين ترجم لهم فيه هم من شيوخه المباشرين الذين عرفهم عن قرب وخبر ما كانوا عليه من علم وفضل، وأوسع تلك التراجم مساحة

---

(١) الصادر عن دار النفائس ببيروت سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(٢) ويقع في أربع مجلدات وقد كتبه بخطه الجميل، وشطب على أماكن مختلفة منه، ولعل ذلك كان في مراحل متأخرة من حياته، والله أعلم.

هي ترجمة والده وشيخه (العلامة الشيخ محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل القاسمي) التي تستحق أن تفرد على حدة نظراً لأهميتها البالغة.

منهج المؤلف في كتابة التراجم:

لقد قام المؤلف بترتيب تراجم الكتاب الأربعة والعشرين ترتيباً زمنياً، فكان الأول منهم (العلامة الشيخ طاهر أفندي بن عمر بن مصطفى الآمدي الشهير بالمفتي) المتوفى سنة (١٣٠١)هـ، والأخير منهم (العلامة الشيخ محمد بن المبارك المغربي الجزائري الدمشقي) المتوفى سنة (١٣٣٠)هـ، أي قبل سنتين فقط من وفاته رحمه الله. وقد حرص المؤلف في أثناء كتابة تراجم الكتاب على الإتيان بأكبر قدر من الأخبار في ثنايا التراجم بحيث يمكن للقارئ الباحث أن يكوّن فكرة واضحة عن صورة المجتمع الدمشقي في إحدى زواياه الهامة خلال المراحل الأخيرة من تاريخ الدولة العثمانية التي انضوت معظم الشعوب الإسلامية تحت رايتها قروناً عدة. ويمكن لقارئ تراجم الكتاب أيضاً أن يلحظ بوضوح موضوعية المؤلف العالية بتقبله - وهو من أصحاب الفكر النيّر والمنهج السَّلَفي - ما كان عليه المتصوفة في آرائهم وطروحاتهم، بل نراه يشيد بهم ويثني عليهم ويمتدحهم، وهذا ما يجب أن يتعلم منه بعض الذين ينتقدون المتصوفة انتقاداً عاطفياً دون النظر ولو بقدر يسير إلى حسناتهم، وعلى الخصوص في الجانب السلوكي والأخلاقي. والمتأمل لتراجم الكتاب يقف على التذوق الرفيع للشعر عند المؤلف رحمه الله، بما أورده في ثناياها من الأبيات الكثيرة ذوات المعاني المختلفة، الأمر الذي أضفى مسحة أدبية على التراجم التي كتبها في الكتاب بعناية فائقة دلّت على خبرته الواسعة في هذا النوع الخطير من التأليف.

والكتاب يمثل صورة صحيحة لذلك العصر بتعبيرات لم تعد مألوفة في أيامنا.

عملي في تحقيق تراجم الكتاب:

أ - نسخ أوراق المخطوط ومعارضة المنسوخ على المخطوط للتأكد من سلامة النسخ.

ب - تفصيل نصوص التراجم وترقيمها.

ج - ضبط ما احتاج إلى الضبط من الألفاظ الواردة في ثنايا التراجم من أسماء الأعلام والبلدان والآيات والأحاديث وغيرها.

د - ترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية.

هـ - التعليق على المواطن التي رأيت أنها بحاجة ماسة إلى التعليق.

و - إثبات ما رأيت ضرورة إضافته إلى النص من الألفاظ القليلة بين حاصرتين [ ].

ز - الإشارة إلى المصادر التي شاركت المؤلف في الترجمة للمترجمين ممن عاصره أو لحق به من أصحاب كتب التراجم.

ح - تزويد الكتاب بفهارس للتراجم حسب ورودها في الكتاب، وعلى حروف المعجم، والمصادر ومراجع التحقيق.

ورأيت من المفيد أن أتبع هذه المقدمة بإثبات ترجمة المؤلف رحمه الله من كتابي «أعلام التراث في العصر الحديث».

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل لكل من أسهم في نسخ الكتاب وتنضيده وتصحيح تجاربه طبعه ومعارضتها على أصولها، وأخص بالذكر أخي وصديقي الفاضل (الأستاذ أسامة بدر الدين مراد) و ولدي العزيز (عبد القادر الأرناؤوط) والسيد (مجدي دفضع).

كما أتوجه بالشكر الجزيل أيضاً لمن قام بطبع الكتاب ونشره، لحرصه على تقديمه للقراء بأفضل صورة ممكنة، فجزاه الله تعالى خير الجزاء وجعل تجارته رابحة في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دمشق الشام في الخامس من شهر ربيع الآخر لعام ١٤٢٦هـ

خادم تراث الأسلاف

محمود الأرناؤوط

* * *


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بن مصطفى صح

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر طبقات مشاهير الدمشقيين من أهل القرن الرابع عشر

طاهر أفندي بن عمر [بن مصطفى] الآمدي [الشهير بالمفتي] من أجل أعيان فقهاء الشام وأوحدها في التفنن
بالفروع والأصول والمعقول والمنقول ولد سنة (١٢١٥) ونشأ مجتهدا في تحصيل العلوم
فقرأ على أبيه علامة عصره وعلى الشيخ سعيد الحلبي ولازمه كثيرا ثم بعد وفاته لازم ابنه الشيخ
عبد الله الحلبي [صح] وكان من أمناء الفتوى مدة حسين أفندي المرادي وابنه علي أفندي
إلى أن [illegible] فقام بأعبائها وكتب على الفتاوى
واتخذ دار المدرسة الجقمقية دارا للفتوى وصار يجلس بها وكان له دار ملاصقة لباب
الجامع الأموي من ناحية النوفرة ثم في سنة ١٢٧٣ وقع حائط الجامع من ناحيتها
فتهدمت فأنهى والي الشام وقتئذ لدار السلطنة بذلك فصدرت إرادة سنية بإعطاء خمسين
ألف قرش للمفتي المذكور ليشتري دارا له فأعطي ذلك واشترى دارا في زقاق الشيخ محمود
داخل باب الجابية وعمرها عمارة حسنة وأما داره الأولى الملاصقة للجامع فجعل
بعضها زاوية وبعضها أدخل للمشهد ووسع المشهد وبنى داخله على هذه الكيفية
وكان في حائطه قديما كوة يقال إن رأس الحسين عليه السلام وضع بها وكان وراءها
مربع من الدار المذكورة فأدخلت للمشهد وجعل لها محراب وجعل المحل الذي
يقال إن رأسه الشريف وضع فيه على هيئة قبر وصار يقال له مشهد الحسين
من حينئذ وأقول لم يتعرض لذلك الحافظ ابن عساكر أصلا مع أنه سرد تاريخه
أجمع نعم الفجوة الأولى من هذا المشهد كانت تسمى مشهد زين العابدين لكونه لما
قدم دمشق كان يصلي فيه كما سلف ذكره في التابعين الذين نزلوا دمشق
ولم يزل المفتي المذكور على طريقته المثلى إلى أن وقعت حادثة النصارى سنة (١٢٧٧)
الآتي إن شاء الله تعالى تفصيلها فيها لما قدم فؤاد باشا أمر بإجلاء أعيان جماعة من
دمشق ومنهم المفتي المذكور فأجلي مع الشيخ عبد الله الحلبي وعمر أفندي الغزي وأحمد أفندي
حسيبي إلى الماغوصة فأقاموا بها مدة ثم نقلوا إلى الازمير ومنها إلى الآستانة وبعد ما صدر
العفو عنهم بعد أمور يطول شرحها ثم إن المفتي المذكور بعد ذلك تقلد القضاء في جهة
[illegible] صح

وأمّ بالحنفية بعد أبيه في الجامع الأموي وكانت له حجرة في المرادية يقيم بها للقراءة والإقراء صح

ولما عزل نفسه من الإفتاء علي أفندي المذكور لرؤيا رآها وكان المرجع في الشام الشيخ عبد الله الحلبي فتذاكر مع والي الشام وقتئذ في نصب طاهر أفندي المترجم مفتيا فعينه وورد المنشور من باب المشيخة له بها وقام صح

من دار السلطنة منشورا على هذه الهيئة صح

[illegible] ومنها صح

صورة الصفحة الأولى من المخطوط المعتمدة في التحقيق

وكتاب الذريعة للراغب الأصفهاني وكتاب المقصد الأسنى
في شرح الأسماء الحسنى وكان عني بتصحيحها وضبطها والفضل
في ذلك لأستاذه وصديقه العلامة الأوحد الشيخ طاهر أفندي
الجزائري فإنه كان يشير عليه بمثل ذلك والمترجم يأتمر بأمره ويتقبل
نصيحته وكان كثيراً ما يستعير من مصححاتي والنوادر التي عندي عارية
لما كان بيننا من أكيد المودة وقد اقترحت عليه عام (١٣١٠) أن
يتمم ما عندي من مدائح دمشق على ترتيب حروف الهجاء وكان
ينقص من ذلك المقفى على قافية [struck] الثاء المثلثة والظاء
[struck] وأمثالها مما يقل التقفية عليه فأجاب وأكملها وضممت
ذلك إلى كتابي هذا كما ستراه في محله منه عند ذكر مدائح دمشق
المنظومة وأقل الخروج من داره في أواخر أمره إلا لدعوة أو حاجة
واعتراه مرض أنهكه ولكن تجلد في تحمله وتصبره وكان للناس
اعتقاد فيه ككل مغربي متصوف فكانوا يقصدونه للرقى والتمائم
والصرع ويأخذ في مقابلة ذلك ما جرت به العادة لأمثاله
وكان لطيف المعشر رقيق الحاشية كريم الطبع سخي الكف
بشوش الوجه كثير الترحيب لزائره أديباً في جلسته ومحاضرته
له انبساط مع إخوانه وأناس وبالجملة فكان بهجة أقرانه
وكانت وفاته ضحوة الثلاثاء في ٥ جمادى الثانية سنة (١٣٣٠)
في الصالحية وأوصى أن تحمل جنازته بلا عمامة ولا غطاء وصلي عليه
في الجامع السليمي في الصالحية ودفن على والده في سفح قاسيون في المقبرة
المنسوبة لذي الكفل عليه السلام

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط المعتمدة في التحقيق

ترجمة المؤلِّف[1]

هو جمال الدِّين، وقيل محمد جمال الدِّين[2]، بن محمد سعيد القاسمي الدمشقي، الإمام العلامة المصلح، أحد رواد النهضة العلمية والفكرية ببلاد الشام في العصر الحديث، يتصل نسبه بالحسين بن علي رضي الله عنهما.

ولد بدمشق سنة (١٢٨٣هـ = ١٨٦٦م)، وأخذ العلم أول الأمر على والده – وكان من أهل العلم – ثم في كتّاب بحي القنوات بدمشق، وبعدها انخرط في عداد الطلبة الذين جوّدوا الخط على يد الخطاط التركي الشيخ محمود بن محمد بن مصطفى القوحي نزيل دمشق، وانتقل من ثم للأخذ على شيوخ دمشق الكبار في حينه، كالشيخ أحمد الحلواني الكبير شيخ قراء الشام، والشيخ سليم العطار من شيوخ العربية الكبار الذين نذروا أنفسهم لتعليم طلبة العلم، والشيخ بكري العطار، والشيخ محمد الطنطاوي، والشيخ محمد بن محمد الخاني، وثلاثتهم كانوا من أعيان العلماء الذين عرفتهم دمشق الشام آنذاك، وقصد مصر والتقى بجمهرة من العلماء والأدباء والأعيان، كالشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، والأستاذ رفيق العظم، وغيرهم، فأثر بهم وتأثر بهم، ولقّب فيها بعلامة الشام، وحمل منها إلى مكتبته بالشام

---

(١) نقلاً عن كتابي «أعلام التراث في العصر الحديث» ومصادر ترجمته فيه: «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧١٦) و«الفتح المبين لطبقات الأصوليين» (٣/ ١٦٨) و«القاموس العام» (٢/ ٤٧٩) و«فهرس الفهارس» (١/ ٤٧٦) و«نموذج من الأعمال الخيرية» ص(٤٤٤) و«الأعلام» (٢/ ١٣٥) و«الأعلام الشرقية» (١/ ٢٩٠) و«معجم المؤرخين الدمشقيين» ص(٣٩٧) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ٢٩٨) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» ص(٦١) و«الكشكول الصغير» ص(٦٠).

(٢) وهو المرجع عند أكثر من ترجم له.

أحمالاً كثيرة من نفائس الكتب المطبوعة فيها، وأخذ يدرِّس طلبة العلم في منزله بدمشق علوم العربية والعلوم الشرعية من عقلية ونقلية، ثم كانت له حلقة في جامع السنانية بدمشق وأخرى في مدرسة عبد الله باشا العظم. وكان له أمل عظيم في تجديد النهضة العلمية الدينية في بلاد الشام، وعمل من أجل هذه الغاية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكان أشبه ما يكون بأئمة السلف تعليماً للخواص، وإرشاداً للعوام، وتأليفاً للكتب النافعة، وزهداً في حطام الدنيا، ومع ذلك كله لم يسلم من الأذى، فقد اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد سمّوه (المذهب الجمالي)، فقُبض عليه واستجوب فردّ التهمة فأخلي سبيله واعتُذر إليه.

وكانت مؤلفاته واختصاراته للكتب تحاكي مؤلفات واختصارات أئمة السَّلَف من السابقين.

فمن مؤلفاته: تفسيره المسمى «محاسن التأويل» وهو من خيرة التفاسير المصنّفة في العصر الحديث، وكتابه الهام «قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث» وكتابه «إصلاح المساجد من البدع والعوائد»، وكتابه الفذ «تعطير المشام في مآثر دمشق الشام» وهو مخطوط لم ينشر بعد، استعرض فيه تاريخ دمشق وترجم لجمهرة كبيرة ممن حلّ بها في عصور مختلفة، وكتابه «حياة البخاري» وهو صغير في حجمه عظيم في فوائده[1]، وكتابه النافع «بديع المكنون في مسائل أهل الفنون»، وغيرها.

ومن اختصاراته وتحقيقاته: «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدِّين» للغزالي، و«تعليقات على أوائل سنن أبي داود» و«شمس الجمال على منتخب كنز العمال» وغيرها.

---

(١) وقد منَّ الله تعالى عليَّ بتحقيقه، ونشرته دار النفائس ببيروت سنة (١٤١٢هـ = ١٩٩١م).

ونظم الشعر على طريقة الفقهاء والعلماء.

وإن كان قد خلّف الكثير من المؤلفات والاختصارات والتحقيقات، فإنه خلف من ورائه أيضاً عدداً كبيراً من التلامذة أصحاب الشأن، كالعلامة الشيخ محمد بهجة البيطار، والأستاذ الشيخ حامد التقي، والعلامة الشيخ محمد جميل الشطي، وغيرهم.

مات سنة (١٣٣٢هـ = ١٩١٤م) ولمّا يبلغ الخمسين من عمره بعد، وكان لنبأ وفاته بالغ الأثر في نفوس طلابه ومحبيه، رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه، وجزاه عن أمته وطلبة العلم فيها كل خير.

* * *



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ذكر طبقات مشاهير الدمشقيين من أهل القرن الرابع عشر

(١)

طاهر أفندي بن عمر بن مصطفى الآمدي، الشهير بالمفتي[1].

من أجلّ أعيان فقهاء الشام وأوحدها في التفنن بالفروع والأصول والمعقول والمنقول.

ولد سنة (١٢١٥) ونشأ مجتهداً في تحصيل العلوم، فقرأ على أبيه علاّمة عصره، وعلى الشيخ سعيد الحلبي ولازمه كثيراً، ثم بعد وفاته لازم ابنه الشيخ عبد الله الحلبي، وأَمَّ بالحنفية بعد أبيه في الجامع الأموي، وكانت له حُجرة في المرادية يقيم بها للقراءة والإقراء، وكان من أمناء الفتوىٰ مدة حسين أفندي المرادي، وابنه علي أفندي، ولما عزل نفسه عن الإفتاء علي أفندي المذكور لرؤيا هالته، وكان المرجع في الشام الشيخ عبد الله الحلبي فتذاكر مع والي الشام وقتئذٍ في نصب طاهر أفندي المترجم مفتياً فعيّنه، وورد المنشور من باب المشيخة له بها، وقام بأعبائها، وكتب على الفتاوى، واتخذ أولاً المدرسة الجقمقية داراً للفتوى وصار يجلس بها. وكان له دار ملاصقة لباب الجامع الأموي من ناحية النَّوفرة، ثم في سنة (١٢٧٣) وقع حائط الجامع من ناحيتها فهدمت، فأنهى

---

(١) ترجمته في «أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» ص(١٥١) و«منتخبات التواريخ لدمشق» ص(٧٣٧) و«ذيل روض البشر» ص(٤). وانظر «عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام» ص(٢٢٣).

والي الشام وقتئذٍ لدار السلطنة بذلك فوردت إرادة سنية بإعطاء خمسين ألف قرش للمفتي المذكور لشراء دار له فأعطي ذلك واشترىٰ داراً في زقاق الشيخ عمود داخل باب الجابية وعمرها عمارة حسنة وأما داره الأولىٰ الملاصقة للجامع فجعل بعضها زاوية وبعضها أُدخل للمشهد، ووقتئذ وسّع المشهد وبني داخله على هذه الكيفية. وكان في حائطه قديماً كوة يقال إن رأس الحسين عليه السلام وضع بها. وكان وراءها مربع من الدار المذكورة، فأدخلت للمشهد وجعل لها محراب وجعل المحلّ الذي يقال إن رأسه الشريف وضع فيه على هيئة قبر، وصار يقال له مشهد الحسين من حينئذٍ.

وأقول: لم يتعرض لذلك الحافظ ابن عساكر أصلاً، مع أني سبرت «تاريخه» أجمع، نعم الفجوة الأولىٰ من هذا المشهد كانت تسمىٰ مشهد زين العابدين لكونه لما قدم دمشق كان يصلي فيه كما سلف ذكره[1] في التابعين الذين نزلوا دمشق، ولم يزل المفتي المذكور على طريقته المثلى إلى أن وقعت حادثة النصارىٰ سنة (١٢٧٧) الآتي إن شاء الله تعالى تفصيلها[2]، ففيها لما قدم فؤاد باشا من دار السلطنة مفتشاً على هذه القضية أمر بإجلاء أعيانها عن دمشق، ومنهم المفتي المذكور، فأجلي مع الشيخ عبد الله الحلبي، وعمر أفندي الغَـزِّي، وأحمد أفندي حسيبي، إلى الماغوصة، فأقاموا بها مدة، ثم نقلوا منها إلى صاقص ومنها إلى إزمير ومنها إلى الآستانة، واسترحموا العفو عنهم بعد أمور يطول شرحها، ثم إن المفتي المذكور بعد ذلك تقلّد القضاء في حمص لما كانت مركز المتصرفية، ولما نقل المركز إلى حماة نقل إليها، واستمر متولياً القضاء بها سبع سنين ثم سافر إلى الآستانة وعيّن قاضياً في معمورة العزيز، ثم أتم مدته وقصد الآستانة

---

(١) يعني من كتابه الهام «تعطير المشام في مآثر دمشق الشام» وهو مخطوط.

(٢) يعني في كتابه الهام «تعطير المشام في مآثر دمشق الشام» وهو مخطوط.

وعيّن قاضياً في جهة طرابلس الغرب، ثم أناخ ركابه بوطنه دمشق، ثم وجهت عليه بها نيابة المحكمة الكبرى، فلم يزل عليها إلى أن توفي في (١٦) ربيع الثاني سنة (١٣٠١) وشَهِدْتُ الصلاة عليه في جامع بني أُمَيَّة ودفنه في باب الصغير، ولي منه إجازة عامة بما يجوز له روايته رحمه الله تعالى.

ووالده الشيخ عمر[1] ممن هاجر من ديار بكر إلى دمشق واتخذها دار إقامة وقدم بابنه المذكور وعمره نحو سبع سنين، وأبقىٰ بعض أولاده في وطنه الأصلي، ووجهت عليه إمامة الحنفية بجامع بني أمية، وقرأ عليه جملة من الفضلاء في المعقول إلى أن توفي سنة (١٢٦٣) رحمه الله تعالى.

* * *



(١) انظر ترجمته في «علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري» (٢/ ٤٩٢).

(٢)

السيد محمود أفندي الحَمْزَاوي بن محمد نَسيب بن حسين بن يحيىٰ بن حسن بن عبد الكريم، المعروف كأسلافه بابن حمزة الحُسَينيّ الحنفيّ الدمشقي(١).

علاّمة الأعلام، وفَهَّامة الأنام، ونخبة الأئمة الفِخام، وفخر الموالي العظام، ومرجع الخاص والعام، عُمدة المفتين، وقدوة المحقّقين، الذي طنّت حصاة فضله واشتهر في الآفاق كمال علمه ونبله، فهو الحبر الذي فاق بصفاته الأوائل، والبحر المشتمل على جواهر الفضائل.

ولد بدمشق سنة (١٢٣٦) ودخل المدرسة سنة (١٢٤٨) واجتهد في تحصيل العلوم، فأخذ عن العلاّمة الشيخ سعيد الحلبي، والمحدِّث الكبير الشيخ عبد الرحمٰن الكزبري، والقدوة الشيخ حامد العطَّار، والمتفنن الشيخ حسن الشطي، والمحقِّق الشيخ عمر الآمدي، والمدقِّق الشيخ منلا بكر الكردي، وغيرهم ممن ذكرهم في «ثبته» المسمىٰ بـ«عنوان الأسانيد» ثم تعاطىٰ النيابات الشرعية في دمشق وغيرها سنة (١٢٦٠) وسافر إلى دار السلطنة وأناطولي سنة (١٢٦٨) بعد أن انتظم في سلك الموالي

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٧/ ١٨٥) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٦٨) و«الفتح المبين» (٣/ ١٥٩) و«تراجم مشاهير الشرق» (٢/ ٢٤٠) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» ص٣٣٣ و«معجم المفسرين» (٢/ ٦٦٧) و«أعلام الفكر الإسلامي» (١/ ٢٤٨) و«نموذج من الأعمال الخيرية» ص(٤٤٢) و« أعيان دمشق» ص(٣١٨) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ٥١) و«الأعلام الشرقية» (١/ ٤٠٩) و«معجم المؤلفين» (٣/ ٨٣٠) و«هدية العارفين» (٦/ ٤٢٠) و«القاموس الإسلامي» (٢/ ١٥٥) و«تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (١٠/ ١٤٦) و«عرف البشام» ص(٢٢٤).

سنة (١٢٦٦) وتدرج في الرُّتَب العلمية إلى رتبة إسلامبول مع ما يتبع ذلك من النياشين الرسمية، مثنىٰ وثلاث ورباع مجيدية وعثمانية، ولم تُرَ قَطُّ عليه لكنها في الصندوق لديه، وتولىٰ إفتاء الشام سنة (١٢٨٤) بإنهاء والي الشام وقتئذ محمد راشد باشا فاشتغل بتحرير المسائل الفقهية بجدٍ واجتهادٍ، ودقَّق وحقَّق، واشتهرت تحقيقاته البديعة، حتى كانت تتوارد عليه المسائل المعضلة من كل فجٍ، ووقع بينه وبين جمعية المجلة في دار السعادة مناقشات كلية، وكانوا يرجعون إليه فيما أشكل من المسائل، ومع علو كعبه في العلوم العقلية والنقلية كان له الباع الطويل والتفنن في كمالات وصنائع شتىٰ، منها ما اشتهر عنه من أمر الكتابة الكثيرة على القطع الصغيرة، فكان يكتب سورة الإخلاص على حبة من حبوب الأرز، وبعضهم يبالغ عنه بأكثر من ذلك.

وبالجملة ففضله أشهر من أن يذكر وأما مؤلفاته فهي تناهز الأربعين منها «درر الأسرار» وهو التفسير الجليل بالحروف المهملة، و«دليل الكُمَّل إلى الكلم المهمل» و«الفتاوىٰ المنظومة» في مجلد، و«الفتاوى الحمزاوية الكبرى» و«نظم الجامع الصغير» للإمام محمد[1] في نحو ثلاثة آلاف بيت من بحر البسيط، و«نظم مرقاة الأصول» من البحر المذكور، وشرح «بديعية» والده شرحاً لطيفاً سماه «كشف القناع».

ومن مؤلفاته [أيضاً][2]: «غنية الطالب بشرح رسالة الصدِّيق لعلي بن أبي طالب» وكتاب «القواعد الفقهية» و«ترجيح البيِّنات» وغير ذلك. وقد اقتبست معظم ما ذكرت من رسالته التي ترجم بها نفسه بالطلب الحثيث من كمال بك أحد كبراء

(١) يعني للإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة رحمهما الله.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة مني يقتضيها سياق الكلام.

الأدباء وفضلاء دار السلطنة العلية وذكر في تلك الرسالة بعض محاسن أخلاقه رحمه الله تعالىٰ، فقال: أما أخلاقه فمنها أن عنده مطالعة الكتاب مقدَّمة على منادمة الأحباب، يكره كثرة المخالطة ويأنف المشاططة والمغالطة، لا يحب الدخول فيما لا يعنيه ويكره أكل لحم أخيه، يفر إلى الجبال كيلا يحضر مجامع الرجال ويرجح راحة البال على كثرة المال متكاسل في سعي الأقدام إلى منازل الأنام، عنده منة الرجال أثقل من الجبال، يتمثل بقول علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: لنقل الصخر من قلل الجبال أحب إليَّ من منن الرجال، متباعد عن قيل وقال، ومختار للوحدة على كل حال، يميل إلى السكوت كميله إلى ضروري القوت، ثم قال مخاطباً للكمال المذكور:

كيف تهدى نقائصي للكمال ... هل تساوى قبائح بالجمال

ليس إلا امتثال أمرك أدىٰ ... لارتكابي لديك سوء خصالي

وقال أيضاً:

يا ذا الكمال الذي شاعت فضائله ... في كل قطر فلا يخفىٰ كبدر سما

لا تعتمد خبر الأحباب متثقاً ... إذ حسَّنوا الظن بي واستسمنوا الورما

ما كل فرد كمالاً في الرجال ولا ... كل الحدائق في الدنيا غدت إرما

إن رمت ترجمتي مني فخذ خبري ... أنا السراب على بُعْدٍ لأهل ظما

ولم يزل ناشراً ألوية العلم والفضل إلى أن توفي ليلة الاثنين تاسع محرم الحرام سنة (١٣٠٥) وحضرتُ الصلاة عليه بجامع بني أمية ودفنه في مقبرة باب الفراديس وكان الجمع متوافراً ولي منه إجازة عامة بجميع مروياته أجاز لي ذلك مرتين مرة في ذي

الحجة سنة (١٣٠٠) ذهبت لداره صحبة خال والدي الفقيه الكامل الشيخ حسن جُبينة الشهير بالدسوقي[1] فناولني إجازته التي جمعها في أربعة أوراق وأعدها للمستجيزين فنسختها ثم ختمها، وشافهني بها يجوز له، ومرة في غرة محرم سنة (١٣٠٢) ذهبت لداره أيضاً صحبة الفاضل المذكور وطلبنا منه أن يسمعنا حديث الرحمة المسلسل بالأولية فأسمعنا إياه وأجاز لنا أيضاً ما يجوز له روايته، جزاه الله خير الجزاء وأناله ما يتمناه يوم الجزاء آمين.

* * *



(١) انظر ترجمته في ص(١٥) برقم (٤) من هذا الكتاب، وفي كتاب «أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» ص (٢٧).

(٣)

محمد سعيد أفندي بن محمد أمين بن محمد سعيد بن علي بن أحمد المعروف بالأسطواني الحنفي الدمشقي[١] قاضي دمشق الشام وأحد أعيانها ورؤسائها العظام.

ولد سنة (١٢٣٧) بدمشق ونشأ بها على طلب العلوم وأخذ عن فضلائها وابتدأ في العلوم العربية وبالوسائل إلى العلوم الشرعية عند الشيخ هاشم التاجي، والشيخ عبد الله الحلبي، والشيخ حسن الشطي، وحضر عند شيخ الشيوخ المحدِّث الشهير الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد الكزبري، وأجازه بما حواه ثبت والده المذكور. وأخذ عن العلامة الشيخ سعيد الحلبي، والإمام الشيخ حامد العطار، والشيخ عبد الرحمٰن الطيبي، وأجازوه جميعاً بمروياتهم. ولم يزل مقبلاً على الاشتغال والأخذ عن كُمَّلِ الرجال حتى فاق واشتهر، وتفنّن ومهر، واستفاد وأفاد، وبلغ المراد، وولي خطابة الجامع الأموي سنة (١٢٥٦) فخطب سنين عديدة. وفي سنة (١٢٥٨) قصد الديار الحجازية واستجاز من فضلاء هاتيك الأباطح الذكية، فأخذ عن العالم الزاهد الشهير الشيخ محمد بن أحمد العطوشي، وأجازه بإسناد عال جداً • وأخذ عن العلامة الشيخ يوسف الصاوي المالكي في المدينة المنورة. واستجاز من الإمام العارف بالله تعالىٰ صاحب الكرامات الشهيرة الشيخ حسين سليم الدجاني مفتي يافا فأجازه بمروياته ومصنفاته. واستجاز بالمراسلة من العلامة الشهير في الآفاق الشيخ إبراهيم

---

(١) ترجمته في «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/٤٧) و«منتخبات التواريخ لدمشق» ص(٦٦٠) و«معجم المؤلفين» (٣/ ٣٢١).

الباجوري. وأخذ الطريقة الأحمدية عن المرشد الكامل الشهير الشيخ إبراهيم الرشيد فلقّنه الذكر وألبسه الخرقة، وتلقن الذكر أيضاً ولبس الخرقة من الإمام العالم العابد الحسيب النسيب فضل باشا بن الغوث علي بن محمد بن سهل مولى الدويلة وأجازه بما يجوز له روايته عن مشايخه، منهم العارف الجليل عبد الله بن حسين بن طاهر العلوي وأسانيده معروفة في مؤلفاته الشهيرة. وللمترجم إجازات عن مشايخ آخرين غير ما ذكر. وكان حسن الأخلاق، كريم السجايا، واسع الصدر، لطيف المزايا، متكلماً بالصدق، قوالاً بالحق، لا يبالي في إجراء الحقوق ورفع المظالم، محبوباً للولاة والحكام، مهاباً مقبولاً للخاص والعام. وانتخب للمعضلات ومهمات الأمور، فتعين في المجلس الكبير في الشام سنة (١٢٧٩) ولم يزل موظفاً به إلى أن حدث ترتيب جديد مبني على تأليف مجلسين كبيرين يدعى أحدهما مجلس إدارة الولاية الكبير والثاني يدعى مجلس دعاوى الولاية الكبير، فعيّن عضواً في المجلس الثاني وذلك سنة (١٢٨٢) ثم في سنة (١٢٨٣) عين نائباً لمحكمة الباب ورئيساً لمجلس الدعاوى ثم في سنة (١٢٨٤) وجهت عليه رتبة إزمير، وعين نائباً إلى طرابلس الشام ثم استعفى منها بعد سنة وشهرين ورجع إلى دمشق، ثم في (١٥) ربيع الأول سنة (١٢٨٦) وجه عليه قضاء دمشق فباشر في خدمة الشريعة المطهرة على الوجه الأتقى متمسكاً في فصل القضايا بالعروة الوثقى ثم أعفي منها ولازم الإقراء والإفادة وانتفع به كثير من الطلاب. وكان حسن التقرير، فصيح اللسان، حسن الضبط، له اعتقاد حسن في الصلحاء ومحبة الفقراء وإكرام للغرباء،

مشحونة مجالسه بالمذاكرة العلمية والمساجلة الأدبية. وله تعليقات على «الأشباه والنظائر»(١) والطحطاوي(٢) وابن عابدين(٣) ولم يزل على حالته الحسنىٰ إلى أن توفي في (١٩) شعبان سنة (١٣٠٥) وصلىٰ عليه شيخنا العلامة الشيخ سليم العطار في داره بوصية منه. وكان أوصىٰ أيضاً أن لا يفعل في جنازته شيء من المبتدعات فنقل كما أوصىٰ، ودفن في سفح قاسيون في تربة نبي الله ذي الكفل عليه الصلاة والسلام.

* * *



---

(١) وهو لابن نجيم. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» (١٠/ ٥٢٣) بتحقيقي، طبع دار ابن كثير بدمشق.

(٢) يعني «حاشيته على مراقي الفلاح». انظر «معجم المطبوعات العربية والمعربة» (٢/ ١٢٣٤).

(٣) يعني «حاشية ابن عابدين» المنشور في دار الثقافة والتراث بدمشق بتحقيق صديقي الفاضل الدكتور حسام الدين فرفور نفع الله تعالى به، ومشاركة عدد كبير من تلامذته الذين يعملون بإشرافه في مكتب ابن عابدين العائد لدار الثقافة والتراث بدمشق.

(٤)

الشيخ حسن بن أحمد آغا بن عبد القادر آغا الشهير بجُبَيْنَة[1] الحلبي الأصل.

سبط العلامة الشيخ السيد محمد الدسوقي المتقدم ذكره، وخال والدي، الشافعي الخلوتي الفاضل الشهير والفقيه النحرير. كان إماماً بارعاً مشاركاً في عدة فنون، له استحضار حسن للفروع الفقهية وتضلع من مسائله وأبحاثه. ولد بدمشق سنة (١٢٤١) وسرىٰ سيرة آل والدته السادة الدسوقيين في أخذ العلوم والطريق عن الأجلاء الأعلام، فقرأ على الشيخ هاشم التاجي بعض كتب في النحو والفرائض، وعلى الشيخ محمد بن عبد الله الخاني حصة من الفقه الشافعي، وكذا عند الشيخ أحمد البغَّال. وحضر في النحو أيضاً عند الشيخ عبد الرحمٰن بايزيد، ولازم الملازمة التامة، ليلاً ونهاراً، دروس سيدي وجدي العلاَّمة الشيخ قاسم الشهير بالحلاق، فقرأ عليه معظم كتب الفقه والحديث وغيره، وأعاد له دروسه بين العشائين في جامع السنانية قبل سيدي الوالد، ثم بعد وفاة سيدي الجد المنوّه به لازم شيخنا، فريد عصره، الشيخ سليم العطار، فسمع منه مجالس من «الإحياء» و«البيضاوي» و«القسطلاني» و«نوادر الأصول» وغير ذلك. واستجاز من مشاهير فضلاء عصره دمشقيين وغيرهم، وجمع ذلك في «ثبت» فممن أجازه بجميع مروياته سيدي الجد المتقدم ذكره، والعلامة الشيخ إبراهيم الباجوري، والشيخ إبراهيم السقا، والشيخ أحمد [بن] زيني دحلان مفتي مكة المكرمة، والعارف بالله تعالىٰ الأمير عبد القادر الحسني الجزائري، والمولىٰ محمود أفندي

(١) ترجمته في «معجم المؤلفين» (١/ ٥٣٦) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ٥٩) و«أعيان دمشق» ص(٣٣٠) و«أعلام دمشق في القرن الرّابع عشر الهجري» ص(٧٢).

الحمزاوي مفتي دمشق، وشيخنا المحدث الشيخ سليم العطار، وغيرهم ممن يطول المقام بذكرهم. ولما وظِّف سيدي الجد إماماً بجامع السنانية صار المترجم إماماً بجامع حَسَّان مكان سيدي الجد وأقرأ به وفي جامع السنانية دروساً خاصة وعامة وانتفع به كثير من المتفقهة الشافعية، وكنت حضرت عليه حصّة من «شرح الحضرمية» وسمعت منه «الشمائل» و«الأربعين النووية» وغيرها وأجاز لي إجازة عامة، وقد انتفعت بصحبته كثيراً جزاه الله خيراً، وكان رحمه الله عالماً لطيفاً وفاضلاً ظريفاً، متواضع النفس، سخي الكف، له لطف طبع ومنادمة مقبولة واطلاع على أخبار المتقدمين، وله رسالة في الأخلاق التي ينبغي للإنسان أن يكون عليها أخذها من الآيات والأحاديث الشريفة، وله شعر متوسط مقبول منه قوله في شروط السيران:

يا أيها الجمع على السيران ... فأجمعوا دراهم الإخوان
وبعد سيروا بالسرور والهنا ... وأرسلوا أكلاً لنا يشبعنا
وهيئوا هذا الذي ذكرته ... ونوع حلو ليس يخفىٰ نعته
واصطحبوا صوتاً جميلاً حسناً ... ومن يكون مطرباً يضحكنا
وأبعدوا عمن إلينا يرقبُ ... وإن تشاؤا في الرياض فالعبوا
وانتخبوا لنا مكاناً معتبر ... وأجلسونا حول زهر ونهر
لنجتلي ثلاثة تجلي الحزن ... الماء والخضرة والشكل الحسن

وقال في غلام اسمه الرشا على لسان من يحبه:

إن فؤادي والحشا ... لم يقبلا إلا الرشا
نظمت فيك ما أشا ... فقل حبيبي ما تشا

ولم يزل على سيرة حميدة وطريقة سديدة إلى أن أصابه مرض الاستسقاء بقي معه نحو سنتين وفيه توفي يوم الثلاثاء قبيل العصر في (١٢) محرم سنة (١٣٠٦) وحضر مشهده جملة من علماء العصر، منهم العلاَّمة الشيخ سليم العطَّار، وحضر الصلاة عليه أيضاً بجامع السنانية وأمَّ الوالد الماجد بالصلاة عليه إماماً، ودفن في مقبرة الباب الصغير في جوار مقام سيدنا بلال رضي الله عنه.

وجُبَيْنَة: بضم الجيم أوله وفتح الموحدة بعده ثم ياء تحتية ساكنة لعلها تصغير جبنة لقب لعائلة فخيمة في حلب الشهباء، وكان جده عبد القادر آغا قدم منها إلى الشام، وكان تاجراً كبيراً، واتصل ابنه أحمد آغا والد المترجم ببنت العلاَّمة السيد الشيخ محمد الدسوقي الحسيني رحمهم الله تعالى.

* * *

(٥)

الشيخ محمد بن مصطفىٰ الطَّنْطَاوي الأزهري الشافعي الحسيني[1] نزيل دمشق.
علاَّمة عصره ووحيد دهره. اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره، واستخرج من بحار المعارف نفائس الدرر بدقيق فكره.

وُلد كما أخبرني ولده صديقنا الشيخ عبد القادر حفظه الله تعالى بعد سنة (١٢٣٠) بقليل في بلده، وحفظ القرآن المجيد وهو ابن سبع سنين، وأقبل على طلب العلم، وأخذ عن أفاضل تلك الديار. ثم قدم إلى دمشق سنة (١٢٥٥) مع أخيه، وكان من الجنود المصرية فأقام بها خمس سنين، وفي خلالها حضر مجالس من دروس بعض فضلاء دمشق وقتئذ. وكان مرَّ على حلب وأخذ بها عن العلاَّمة الشيخ أحمد الزَّمَانيني، ثم رحل إلى مصر، واشتغل في الجامع الأزهر بإتمام المادة على فحول علمائه، كالعلاَّمة الشيخ إبراهيم الباجوري، والشيخ إبراهيم السَّقَّا، والشيخ محمد الخضري، وغيرهم. ثم رجع إلى دمشق وقد أتقن كافة العلوم من صرف ونحو ومنطق وبيان ومعان وكلام وحديث وتفسير وفقه وهيئة وحساب وميقات وحكمة وغيرها، حتى صار آية في المعقول والمنقول باهرة، فطفق ينشر لواء العلوم، وكتب بخطه الجميل كتباً كثيرة،

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٧/ ١٠١) و«الأعلام الشرقية» (١/ ٣٩٩) و«أعيان دمشق» (٣٢٩) و«أعلام دمشق في القرن الربع عشر الهجري» (٣٢٠) و«نموذج من الأعمال الخيرية» (٤٤٢) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٦٧) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الربع عشر الهجري» (١/ ٧٣) و«أعلام الإسلام» (١/ ٥٨) و«معجم المؤلفين» (٣/ ٧٢٥) و«أعلام الحضارة العربية الإسلامية» (٦/ ٢٧٦).

وانتفع به من الطلبة جَمٌّ غفير. ولما قدم من مصر سكن أولاً في ميدان الحصا، وأقرأ الدروس في حجرة بجامع صُهيب سنين عديدة، وورد عليه هناك للاستفادة من لا يحصىٰ. ثم في سنة ثمانين تقريباً نزل من الميدان وسكن في جوار الجامع الأموي داراً اشتراها له الأمير السيد عبد القادر الحسني الجزائري قُدِّس سِرّه، ولازم الإقراء في داره وتارة في حجرة له بمدرسة الباذرائية، وبين العشائين في الجامع الأموي في محراب المالكية، وصارت له عند حضرة الأمير المنوه به المكانة المكينة، حتى رتب له الأمير مدة حياته في كل شهر ألف قرش من ماله. وفي سنة (١٢٨٧) طلب الأمير من شيخنا المترجم أن يسافر إلى مدينة قونية، وذلك لمقابلة نسخة «الفتوحات المكية» المطبوعة أول مرة بمصر على نسخة مؤلفها الشيخ محي الدين ابن عربي الموجودة بخطه في المدينة المذكورة، فقابل نسخته على نسخة مؤلفها مرتين في مقدار ثلاثة أشهر، وصحّحها وضبطها، ووجد في المطبوعة تحريف وتقديم ونقص من محال متعددة وخصوصاً من كتاب الصلاة. ولما قدم دمشق صحّحت على نسخته كثير من النسخ. وكان شيخنا المترجم مرجعاً لحلّ مشكلات الفنون، قوالاً بالصدق صداعاً بالحق، لا يحابي في دينه أحداً، جسوراً، متعففاً جداً، وعيَّن له أحد ولاة الشام بإرادة سلطانية معاشاً من الخزينة فأبى أشد الإباء ولم يقبله. وكان فصيح العبارة، جيد التقرير والتحرير، يدقق في المقولات والفنقلات أشد التدقيق، وله في حساب الزِّيج ورسمه حل إشكالات وتوضيح معضلات، تشهد بسعة اطلاعه، ولما طرأ على حجر البسيط الذي وضعه علامة زمانه الشيخ علاء الدين علي بن إبراهيم الفلكي، الشهير بابن الشاطر المتوفىٰ سنة (٧٧٧) لمعرفة الأوقات في منارة العروس التي في الجامع الأموي قليل خلل لتقادم

عهده، طلب متولي الجامع وغيره من العلماء إلى المترجم أن يصلح ما وقع فيه فأصلحه، فلما أرادوا وضعه في مكانه وقع الحجر وانشق شطرين فنسبوا ذلك إلى المترجم لحضور أحد تلامذته إذ ذاك فاضطر المترجم أن يبرئ نفسه وراح إلى داره يصرف حولين كاملين ليعمل بسيطاً يحاكي به بسيط ابن الشاطر فعمله وخرج بسيطاً أحسن من الأول وحسبه على الأفق الحقيقي وزاد فيه قوس الباقي للفجر وأنزل القديم، وجعل هذا مكانه في يوم مشهور مشهود غبطه عليه أجلاء الفضلاء، فجاء في غاية الضبط والإتقان، جزاه الله خير الجزاء وذلك سنة (١٢٩٣).

وكان له شعر حسن ينظم أحياناً ما يبدو له، ولم يصرف نفيس وقته للاعتناء به، ومنه ماردَّ به على الزمخشري في قوله:

لجماعة سموا هواهم سنة ... وجماعة حمرٌ لعمري مؤكفه

قد شبهوه بخلقه فتخوفوا ... شنع الورىٰ فتستروا بالبلكفه

فقال شيخنا المترجم رحمه الله:

سميت دين الله يا هذا هوى ... فهويت في نار الجحيم المتلفه

وجعلت خير الناس حمراً بعدما ... شهد الإله بفضلهم هذا سفه

وكذبت في دعواك أن قد شبهوا ... مولاهم بالخلق ذاتاً أوصفه

من أين هذا جاءكم فتيقظوا ... لَستم إذاً حمرٌ لعمري موكفة

صادمتم قول النبي المصطفىٰ ... سترون مسافيكم إذاً من معرفة

سنراه في الأخرىٰ بعيني رأسنا ... إذ ذاك وعد الله مالن يخلفه

قلت ومن أراد تفصيل المنظومات في الرد على بيتي الزمخشري المذكورين فليرجع إلى «طبقات التاج السبكي» في ترجمة الجاربردي[1] فإنه يرىٰ ما يبهجه. هذا وقد أحببت أن أحلي جيد ترجمة شيخنا المنوه به بذكر شذرة من فرائد فوائده الدَّالة على أنه تسنم من المعارف ذروتها ومن بدائع التحقيقات ربوتها، فأقول: من فوائده، رحمه الله، ما كتبه على «العزيزي في شرح الجامع الصغير»[2] عند حديث أن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد إلخ، فإنه نقل عن العَلْقَمِيّ أن في هذا الحديث رداً على من يزعم من أهل الهيئة أن الكسوف أمر عادي لا يتقدم ولا يتأخر، إذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف إلخ. فكتب شيخنا المترجم رحمه الله ما نصه: قوله وفي هذا الحديث رد إلخ، أقول: قال حجة الإسلام الغزالي في «كتابه المنقذ من الضلال» الآفة الثانية نشأت من صديق للإسلام جاهل ظن أن الدين ينبغي أن ينصر بإنكار كل علم منسوب إليهم، أي إلى الفلاسفة، فأنكر جميع علومهم وادعىٰ جهلهم فيها حتى أنكر قولهم في الخسوف والكسوف، وزعم أن ما قالوه فيهما على خلاف الشرع فإذا قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع فازداد للفلسفة حباً وللإسلام بغضاً، ولقد عظم على الدين جناية من ظن أن الإسلام ينصر بإنكار هذه العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والإثبات ولا في هذه العلوم تعرض للأمور الدينية. وقوله ﷺ: «إن الشمس

---

(١) انظر «طبقات الشافعية الكبرى» (٨-١٧).

ويحسن بالقارئ الباحث الوقوف على ما ذكره السبكي في ترجمة الجاربردي من الأبيات الهامة التي تسفه رأي الزمخشري وتبين سوء فهمه بأرفع أسلوب.

(٢) واسمه الكامل: «السراج المنير بشرح الجامع الصغير» وهو مطبوع.

والقمر آيتان من آيات الله تعالى إلخ»[1] ليس في هذا ما يوجب إنكار علم الحساب المعرّف لسير الشمس والقمر واجتماعهما أو مقابلتهما على وجه مخصوص، وأما قوله عليه السلام: «لكن الله إذا تجلىٰ لشيءٍ خضع له» فليس توجد هذه الزيادة في الصحيح أصلاً. اهـ.

وقد بسط الكلام في هذا المقام في المقالة الثانية من كتاب «تهافت الفلاسفة». إذا علمت ذلك فاعلم أن قوله: إذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف. وقوله: فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع ولم يكن الأمر بالعتق والصدقة والذكر والصلاة معنى اهـ.

مع كونه إنكار للبرهان القاطع كما قال حجة الإسلام، جوابه أن يقال: إن الله تعالى لما أراد خلق العالم على ما اقتضته حكمته من هذا الترتيب البديع المشتمل على سير هذه الكواكب، وعلم أن بعض عباده يعبد بعض هذه الكواكب لسابق الإرادة، رتّب سير هذين الكوكبين على وجه يقتضي حصول الخسوف والكسوف مع إمكان ترتيبه على وجه لا يقتضي ذلك إعلاماً لعُبَّادهما أنهما لو كانا إلهين لما اعتراهما هذا النقص، فإذا رأينا الخسوف والكسوف اللذين أُريد بهما التنبيه والإعلام لعُبَّادهما فلم يتنبهوا، خفنا وقوع العذاب بهم فيعمنا ففزعنا إلى العبادة ليصرفه الله عنا، فقد ظهر عدم المنافاة بين ما جاء عن الصادق وما قرره أهل الهيئة من غير حاجة إلى إنكار ما يكاد أن يلحق بالبديهي فيكون الإنكار سبباً لطعن الطاعن كما قال حجة الإسلام. قال شيخنا: وهذا شيء لم يسبقني أحد إليه فيما أعلم، فلله الحمد والمِنَّة. وقول المناوي[2] في الجواب عن

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (١٠٤١) ومسلم رقم (٩١١) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، وانظر «عمدة الأحكام» رقم (١٥٤) بتحقيقي.

(٢) انظر «فيض القدير» (٢/ ٣٤٧).

ذلك: وكونه تخويفاً لا ينافي ما قرره علماء الهيئة في الكسوف لأن لله أفعالاً على حسب العادة وأفعالاً خارجة عنها وقدرته حاكمة على كل بسبب اهـ . قال شيخنا: كلام لم يفد شيئاً من المطلوب وهو بعض كلام ابن دقيق العيد اهـ ولا يخفاك أن ما ذكره شيخنا إنما يظهر بجملة عُبَّادهما المذكورين، وأما علماؤهم[1] فيعلمون أن الخسف ما عراهما ولحق ذاتهما فلا يتوجه ما ذكره بالنسبة إليهم فالمرجع لكلام الغزالي فقط، والله أعلم.

ومن غرره ما كتبه على العزيزي أيضاً عند حديث «آكل الرِّبا وموكله وكاتبه وشاهداه إن علموا به، والواشمة والموشومة للحُسن، ولاوي الصدقة والمرتد أعرابياً بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد يوم القيامة»[2].

قال العزيزي: ملعونون، أي مطرودون، عن مواطن الأبرار لما اجترحوه من ارتكاب هذه الأفعال القبيحة التي هي من كبار الآصار. اهـ .

قال شيخنا المترجم رحمه الله تعالىٰ: أنت خبير بأن هذا الجواب الذي أطبقوا عليه لا يليق بما أراده ﷺ من بيان زيادة قبح هذه الذنوب وأشباهها مما رتب عليه اللعن ومبالغته ﷺ ببيان أن اللعن من عند الله على لسانه وحينئذ فاللائق في نحو هذا الحديث أن يقال: المراد مستحقون للعن الحقيقي وهو الطرد من رحمة الله بسلب الإيمان منهم، ثم قد يعاملهم بما يستحقون وقد لا يعاملهم به فضلاً منه وكرماً. قال شيخنا: وهذا مما تفضل الله به على المسلمين ولم أره لغيري. ثم ذكر أن العزيزي نقل في حديث

---

(١) في الأصل: «وأما علمائهم» والصواب ما أثبته.

(٢) ذكره المناوي في «فيض القدير» (١/ ٥٤) وعزاه للنسائي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

«أما يخشىٰ أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام الخ»[1] أن من الأجوبة أنه يستحق ذلك وإلا فلا يلزم من الوعيد الوقوع ا.هـ . فنعمت الموافقة. ومن فرائده ما كتبه على العزيزي أيضاً عند حديث: «أبىٰ الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة»[2].

قال العزيزي: هذا محمول على المستحل لذلك ولم يتب ويخلص التوبة أو هو من باب الزجر والتنفير ليكف الشخص عن هذا الفعل المذموم ا.هـ قال شيخنا المترجم، نوَّر الله مرقده، قوله: أو هو من باب الزجر الخ. هذا الجواب اتفق عليه العلماء خلفاً عن سلف ولعمري إنه لا يرتضيه من عرف عظيم قدر المصطفىٰ ﷺ وكأنهم غفلوا عما يستلزمه هذا الجواب مما لا يرتضي أدنىٰ عالم أن ينسب إليه وهو الإخبار بخلاف الواقع لأجل الزجر ولو كان هذا مراد السيد الأعظم لساغ لنا معشر علماء أمته أن نقول لا توبة للزاني مثلاً للزجر والتنفير، كيف وذلك من أكبر الكبائر؟ نعم يصح هذا الجواب فيما كان من قبيل الإنشاء كقوله ﷺ فيما رواه الشيخان وأصحاب السنن: «أما يخشىٰ أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار»[3] ا.هـ . أما ما كان من قبيل الحديث الذي هنا فلا يجاب عنه بهذا

---

(١) قطعة من حديث رواه مسلم رقم (٤٢٧) في الصلاة: باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكره المناوي في «فيض القدير» (١/ ٧١) وعزاه للطبراني في «الكبير» وللضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه في التعليق على ص (٢٤).

الجواب مع إبقائه على خبريته بل إما أن يصرف إلى الإنشاء بجعله للإشفاق وكأنه قال: لعل قاتل المؤمن لم يجعل الله له توبة، وحينئذ يسوغ دعوىٰ إرادة الزجر والتنفير. وإما أن يجاب بجواب لائق بمقام السيد الأعظم مما يعرفه علماء أمته ممن يسوغ له الإقدام على تفسير كلام سيد الأنام، وإلا فيرفع الأمر إلى أهله إن كان ممن يخشىٰ الله ويتقه ا.هـ. قال شيخنا: وهو مما فتح الله به علي ولم أره لغيري. ومن تحفه ما كتبه على حديث «أبىٰ الله أن يجعل للبلاء سلطاناً على بدن عبده المؤمن»[1] ونصه الذي يظهر كما في هذا الحديث والله أعلم بمراد نبيه ﷺ، أن المراد المؤمن الكامل والبلاء الكامل وهو الذي لا يصحبه لطف أما الذي معه لطف من قوة يقين ومشاهدة ما في البلاء من النعم فلا يمتنع وقوعه بالكامل بل لا يخلو منه كامل، فاحرص على هذا التحقيق ينفعك في مواضع كثيرة فإنه مما منَّ الله به على هذا العبد ولم يسبقني إليه أحد فيما أعلم فلله الحمد والمنة على نعمه. قلت: وما ذكره شيخنا هو ما يميل إليه القلب أكثر مما ذكره شُرَّاح «الجامع الصغير» بأن المراد سلاطة البلاء على الدوام أو المراد المؤمن غير[2] الكامل كما لا يخفىٰ، ويقرب مما ذكره شيخنا قول الحفني: أي لم يجعل للسقم سلطاناً على القلب، فلم يمنع من التعلق بالله تعالىٰ، فيكون أطلق البدن وأراد الحال فيه، أو المراد بالبلاء المعاصي فإن بلاءها أشد ا.هـ.

---

(١) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ١٤٤) وعزاه للديلمي في «مسند الفردوس» من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: «الغير».

ومن بدائعه ما كتبه على حديث: «إن الله تعالىٰ قال: من عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به...الخ»[1] قال شيخنا: حيث احتيج للتأويل فالأوضح فيه أن يكون المعنىٰ، فإذا أحببته ألهمته حبه إياي، فإنّ حُب العبد ربه متأخر عن حب ربه له ﴿يحبهم ويحبونه﴾[2] فكنىٰ عن حبه لربه بقوله: «كنت سمعه... الخ» كما يقول المحب لمحبوبه: أنت عيني، أنت روحي، أنت قلبي... الخ، وحينئذ يغيب عن كل ما سواه بل وعن نفسه. وهذا المعنىٰ الذي تفضل الله به عليَّ يشمل جميع ما قالوه بل ويشمل ما عليه العارفون في هذا الحديث والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

ومن نفائسه ما كتبه على قول العزيزي في حديث «كل الناس يغدو فبائع نفسه... الخ»[3] الفاء تفصيلية ونصه الذي يظهر لي أن الفاء عاطفة على حد يخرج الحيَّ من الميت ومخرج الميت من الحي وإن لم يتنبه له أحد من الشرَّاح فيما أعلم ا.هـ.

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٦٥٠٢) في الرقاق: باب التواضع، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال والدي وأستاذي المحدِّث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله في تعليقه على كتابي «شرح الأربعين النووية» ص(٧٩) طبع دار ابن كثير بدمشق: «أقول: وإسناده ضعيف، وهو من الأسانيد القليلة التي انتقدها العلماء على البخاري، ولكن للحديث طرق أخرى وشواهد تقوية، وهو أشرف حديث روي في صفة الأولياء».

(٢) سورة المائدة: الآية (٥٤).

(٣) قطعة من حديث «الطّهور شطر الإيمان...» وهو عند مسلم رقم (٢٢٣) في الطهارة: باب فضل الوضوء، من حديث ابي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه.

ومن لآلئه ما قاله في قوله عليه السلام: «لا تفضّلوا بين الأنبياء»[1] الذي يظهر لي أن المراد لا تفضّلوا من عند أنفسكم حتى تسمعوا مني. قال: وهذا جواب في غاية الحُسن لم أره لغيري وهو نافع في جميع ما كان من هذا الباب بلا كلفة ا.هـ.

ومن متفرداته ما قاله في حديث: «خديجة خير نساء عالمها، ومريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها»[2] قد ظهر لي في هذا الحديث معنى بديع وهو أن المراد بالعالم الصنف كما هو أحد إطلاقاته فإنه يقال عالم العباد وعالم الزهاد وهكذا فالمعنى خديجة خير نساء الصنف الذي هي منه وهو صنف زوجات الأنبياء ومريم خير نساء الصنف الذي هي منه وهو صنف أمهات الأنبياء وفاطمة خير نساء الصنف الذي هي منه وهو بنات الأنبياء فاحرص على هذا الذي لم أسبق إليه فيما أعلم ينفعك في مواطن كثيرة ومن فوائده ما رأيته بخطه ونصه إعلم أن الدرهم الموجود الآن أربع وستون حبة قمح والمثقال الموجود الآن ستٌّ وتسعون لأنه درهم ونصف والدرهم الشرعي ستٌّ وخمسون حبة قمح فهو سبعة أثمان الدرهم الموجود الآن فكل سبعة من الموجودة ثمانية من الشرعية والمثقال الشرعي خمسة أسداس المثقال الموجود لأنه درهم شرعي وثلاثة أسباعه فهو ثمانون حبة قمح وهي خمسة أسداس الستة والتسعين التي هي

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٢٤١٢) في الخصومات: باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، ومسلم رقم (٢٣٧٤) في الفضائل: باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (١٢/ ١٣٠) وعزاه لـ«مسند الحارث بن أبي أسامة» من حديث عروة بن الزبير مرسلاً.

المثقال المتعارف، فكل خمسة مثاقيل من الموجودة الآن لستة شرعية، فاحرص على هذه الفائدة فقد بذلت الجهد في تحريرها حين وقع له درهم من ضرب الملوك السابقة هذا، ولو جمعت تحريراته وهوامشه لبلغت أسفاراً، ولم يزل على سيرته الحميدة إلى أن توفي يوم الأربعاء سلخ ربيع الثاني سنة (١٣٠٦) ودفن بعد ما صُلي عليه في الجامع الأموي بمشهد عظيم جداً في جوار سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه في مقبرة الباب الصغير.





(٦)

الشيخ علاء الدين بن السيد محمد أمين بن السيد عمر الشهير بابن عابدين الحنفي الخلوتي[1]، بهجة الموالي وتاج هام المعالي.

ولد في ربيع الثاني سنة (١٢٤٤) ونشأ في حجر والده الفهَّامة الشهير السيد محمد عابدين إلى أن ختم القرآن المجيد وحفَّظه بعض المتون، وكان يحضره في جنبه في دروسه ويدعو له ويتفرَّس فيه الخير، ولما قرأ في نهاية أمره «ثبته» الذي جمعه لشيخه الشيخ شاكر العقاد أحضر ابنه المترجم وأجازه مع الحاضرين إجازة عامة، وشابكه، وصافحه، ودعا له، ثم بعد وفاة والده المذكور سنة (١٢٥٢) اجتهد في طلب العلم، فقرأ على مشايخ كثيرين، منهم الإمام النحرير الشيخ هاشم التاجي. وكان جُلُّ انتفاعه منه. واستجاز من مشايخ كثيرين دمشقيين ومصريين ومكِّيين وروميين، وبرع في الفقه، واشتهر، وشارك في بقية الفنون، وعلا شأنه، وصار مرجعاً في الفروع الفقهية الحنفية، وصنَّف في ذلك عدة مصنَّفات، منها «قرة عيون الأخيار» تكملة حاشية والده «رد المحتار على الدر المختار» ومنها «معراج النجاح شرح نور الإيضاح» ومنها «منة الجليل لإسقاط ما على الذمة من كثير وقليل» ومنها «مثير الهمم الأبية فيما أدخلته العوام في اللغة العربية» وتصدر للإقراء في مدرسة التعديل وفي داره في محلة القنوات، وانتفع به كثير من متفقهة الحنفية. ولما وفد إلى دمشق الشام مهاجراً الشيخ محمد المهدي الخلوتي السابقة ترجمته أخذ المترجم عنه الطريقة الخلوتية، واشتغل بها كثيراً وعمل الرياضات

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٦/ ٢٧٠) و«الأعلام الشرقية» (٢/ ٤٨١) و«أعلام الفكر الإسلامي» (٢/ ٢٥٤) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ٦٣) و«أعيان دمشق» (٣٢٧) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٢٨٨) و«هدية العارفين» (٦/ ٣٨٨).

والخلوات، واشتهر بالصلاح والفضل والزهد، وصارت تؤثر عنه أحوال عجيبة. ثم لما تولىٰ إفتاء دمشق أمين أفندي الجندي ألحَّ على المترجم أن يكون أمين الفتوىٰ عنده وألزمه بذلك لما اشتهر من ورعه وصلاحه، فباشر أمانة الفتوىٰ عنده إلى أن عزل المفتي المذكور. ثم تولىٰ نيابة محكمة الباب[1] مدة فعظم صيته. ولما عزل المفتي المذكور وعُيِّن بعد عزله عضواً في مجلس الشورىٰ في الآستانة سافر إليها وبصحبته المترجم، فاتفق أن صدرت الإرادة وقتئذ بعقد مجلس يسمىٰ الجمعية العلمية لجمع مسائل فقهية في مذهب الحنفية يكون على موجبها جُلُّ الأحكام الشرعية، فكان ممن عين عضواً فيه المفتي المذكور، ثم عين عضواً فيه المترجم بسعي المفتي المذكور. ورتبت تلك الجمعية «كتاب المجلة» وحصل للمترجم المكافأة بالإحسانات العثمانية والرتب العلية، إلى أن وجهت عليه رتبة الحرمين، ثم عينه شيخ الإسلام قاضياً في طرابلس الشام، فتوجه إليها وباشر قضاءها[2] بسيرة حميدة وطريقة رشيدة، ولما عقد مجلس في دمشق يسمىٰ الجمعية الخيرية جُعِلَ المترجم رئيسه.

وبالجملة فإنه كان من أجلاء الأعيان وفضلاء الزمان. وكان محبباً للخاص والعام جميل الذكر بين الأنام، ولم يزل على مكانته السامية إلى أن توفي ضحوة الاثنين في (٢١) شوال سنة (١٣٠٦) وصُلِّي عليه في الجامع الأموي، ودفن في باب الصغير خلف ضريح والده والعلاّمة العلائي رحمهم الله تعالى.

* * *

---

(١) الباب: بلدة كبيرة من أعمال حلب. انظر «مراصد الإطلاع» (١/ ١٤٢).

(٢) في الأصل: «قضائها».

(٧)

الشيخ محمد بن ياسين بن حامد بن أحمد العطَّار الشافعي[١].

كان عالماً فاضلاً ونحريراً كاملاً، له التفوق في كثير من العلوم.

ولد سنة (١٢٤٥) بدمشق ونشأ بها، وشب على طلب الفنون والأخذ عن الأجلاء، فقرأ على الشيخ هاشم التاجي، والشيخ عبد الرحمن بايزيد، وعلى علامة المعقول ملاّ بكر الكردي، وعلى العلامة الشيخ حسن الشطي الحنبلي، وعلى الشيخ محمد الجوخدار، ولازم أخاه العلامة الشيخ سليم الآتي بعده ذكره في فنون شتىٰ، وكان معيد دروسه العامة بين العشائين في الجامع الأموي وفي التكية السليمانية خميس شهري رجب وشعبان. وله إجازة من جده الإمام الجليل الشيخ حامد العطَّار. وتصدر للإقراء، وعكف على الإفادة في المدرسة السميساطية ليلاً ونهاراً، وانتفع به كثيرون، وكان لطيف المحاورة، جميل المذاكرة، طارحاً للتكلف، ملازماً على الجماعات في الجامع الأموي. ولم يتزوج في حياته، ولا اقتنىٰ داراً، بل كان عاكفاً على ظل أخيه المذكور، رافلاً في برود نعمائه. ولأخيه مزيد التفات إليه وحنو زائد، ولم يزل على سيرته الحسنة إلى أن توفي في دار أخيه في (٢) جمادىٰ الأولى يوم الثلاثاء سنة (١٣٠٧) ودفن في مقبرة باب الفراديس وحزن عليه حضرة أخيه حزناً كثيراً، وعاش بعده أسبوعاً كما سنذكره.

* * *

---

(١) ترجمته في «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٦٨) وفيه وفاته سنة (١٣٠٦) و«أعيان دمشق» (٢٤٢) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الربع عشر الهجري» (١/ ٩٦).

(٨)

الشيخ سليم بن ياسين بن حامد بن أحمد الشهير بالعطَّار الشافعي القادري[١]

شيخنا، صدر المدرسين، وإكليل أجلاَّء الكاملين، مخدوم السيادة والسعد، وقدوة الحَلِّ والعقد.

ولد سنة (١٢٣١) بدمشق، وقرأ على الجُلَّة من المشايخ، منهم جده الشيخ حامد العطَّار، والشيخ عبد الرحمن الكزبري، والشيخ عبد الرحمن الطيبي، والشيخ سعيد الحلبي، وعمر أفندي الآمدي، وغيرهم، في فنون كثيرة. وأجاز له العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري مكاتبةً، ولما توفي جده المذكور، قرأ مكانه دروسه العامة في الجامع الأموي وفي التكية السليمانية، خميس شهري رجب وشعبان، وتصدر للإفادة والإقراء. وتدرج في درجات الكمال، وترقى في معارج المجد والإجلال، وعكفت عليه الطلاب، وسار صيته في سائر الجهات. وكان رئيساً، نبيهاً، وافر الحرمة، جليل القدر، عظيم الهيبة، نافذ الكلمة، كبير الجاه عند الأمراء، عَذْبَ البيان، لطيف المسامرة. وكان مرجعاً لمعضلات الشام وكهفاً للأمور العظام. وكان ينتصر لطلبة العلم أشد انتصارٍ، ويجير من ينتسب لجنابه أحسن جوار. وله قوة حافظة يقضي منها بالعجب.

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٦/ ١٤٧) و«أعلام دمشق في القرن الربع عشر الهجري» (٢٧٥) و«معجم المفسرين» (٢/ ٥٣٤) و«أعيان دمشق» (٣٣٤) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٢٢) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الربع عشر الهجري» (١/ ٨٩).

وبالجملة فإن شيخنا المترجم كان من نوادر الأوان وحسنات الزمان. ولم يزل على طريقة حميدة فريدة إلى أن توفي يوم الاثنين في (٧) جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٠٧) وأُخِّر تجهيزه للثلاثاء، ودفن بعد زوالها في مقبرة باب الفراديس، وكان الجمع متوافراً جداً، وكان مرضه قريباً من يومين فقط، رحمه الله تعالىٰ.

* * *



(٩)

الشيخ أحمد بن علي بن محمد الشهير بالحلواني الشافعي الرفاعي[1] شيخ قراء عصره، ومرجع المجودين في قطره.

ولد بدمشق سنة (١٢٢٨) ونشأ في حجر والده، ولما ترعرع حفظ القرآن عن ظهر قلب من طريق حفص على الشيخ راضي، ثم أقبل على طلب العلم، فقرأ على فضلاء زمانه، منهم الشيخ عبد الرحمن الكزبري. سمع منه «البخاري» وغيره و«الأربعين العجلونية» وكتب له بخطه إجازة بديعة. ومنهم الشيخ عبد الرحمن الطِّيبي، حضره في جمل من كتب فقه الشافعية. ومنهم الشيخ سعيد الحلبي، أخذ عنه طرفاً من علم العربية، ومنهم المحقّق عبد اللطيف أفندي مفتي بيروت، أخذ عنه جانباً من الصرف والبيان وغيرهما. ثم في سنة (١٢٥٣) ذهب إلى مكة المشرفة واجتمع فيها بالشيخ الإمام النحرير شيخ القراء في الأباطح المكية الشيخ أحمد المرزوقي البصير، المصري الأصل المكي الدار والوفاة، فقرأ عليه ختمة مجودة من طريق حفص، ثم حفظ عليه «الشاطبية» وقرأ القراءات من طريقها، ثم حفظ «الدُّرَّة» وقرأ عليه ختمة للعشرة

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (١/ ٢٤٧) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٠٨) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ٧٨) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٢٢) و«نموذج الأعمال الخيرية» (٤٤٣) و«أعيان دمشق» (٣٣٦) و«الأعلام الشرقية» (١/ ٢٧٣) و«أعلام الفكر الإسلامي» (١/ ٢٤٥) و«معجم المؤلفين» (١/ ٢٨٢) و«معالم وأعلام» (١/ ٣٣١) و«هدية العارفين» (٥/ ١٩٢) وفيه وفاته (١٣٠٨) هـ.

من طريق «الشاطبية» و«الدُّرَّة» ثم حفظ «الطيبة» لشيخ الفن العلاَّمة ابن الجزري، وقرأ عليه ختمة من طريقها للقراء العشرة أيضاً، ثم أجازه شيخه بالقراءات العشرة وما تجوز له روايته، وأقام المترجم بمكة أربع سنوات، ثم رجع إلى وطنه دمشق سنة (١٢٥٧) فتصدر للإقراء من طريق حفص وغيره من السبع، فاشتهر ذكره، وعَمَّ نفعه، ثم سار إلى مكة المكرمة سنة (١٢٦٥) وأقام بها ثلاث عشرة سنة، مشتغلاً بقراءة القرآن وتعليم القراءات، وانتفع به هناك خلق كثير، ثم عاد إلى وطنه سنة (١٢٧٧) فمكث يُقرئ ويفيد إلى وفاته.

وكان رحمه الله حسن المفاكهة، لذيذ المحاضرة، لطيف المسامرة، كثير الملازمة لبيته، لا يخرج إلا لضرورة، مُعْتَقَداً محبباً، مربياً، ناصحاً، نظم رسالة في التجويد سماها «المنحة السنية» ثم شرحها شرحاً لطيفاً سماه «اللطائف البهية» جمع فيه معظم أحكام التجويد. وله منظومات كثيرة في بعض ضوابط القراءات، وأنجب تلامذةً في دمشقَ فضلاء، بعد أن كان فن القراءات انقطع سنين منها. ووقع بينه وبين علماء عصره نزاع كبير في أن التجويد واجب شرعاً أو صناعة، فكان الأستاذ المترجم يعتمد الأول ويحاورهم في أدلة ذلك، وكانوا يعتمدون الثاني. ثم ورد إلى دمشق سنة (١٣٠٠) العلاّمة الشيخ محمد بن صلاح الباقاني الحنفي النابلسي، فسأله المترجم عن حكم التجويد فأجاب بأنه لا يعلم خلافاً في وجوبه، فحينئذ التمس منه شيخنا المترجم أن يجمع ما نقل في ذلك فأجاب، وصنف رسالة سماها القول السديد في وجوب التجويد وقد بيّضتها لشيخنا المترجم من خط مصنّفها. قلت: وقد رأيت في «فتاوىٰ العلاَّمة ابن حجر الحديثية» هذه المسألة بعينها، فإنه سُئل عن قول الإمام ابن الجزري في «مقدمته» و«طيبته» و«نشره»: يتحتم أن يراعي القرآن العظيم قواعد لغة العرب، إلى أن قال: فإن

حسن الأداء واجب على الصحيح بل الصواب، فأجاب العلاَّمة ابن حجر بقوله: قد اختلف المتكلمون على كلام هذا الخبر، فحمل بعضهم الوجوب في كلامه على الوجوب الصناعي لا الشرعي، وبعضهم أجرىٰ كلامه على ظاهره ولم يؤوله، والحق في ذلك تفصيل. ثم أطال العلامة ابن حجر في ذلك وأطاب وأتىٰ بما يبهج الألباب، وأظن لو عثر على هذه الفتوىٰ المتنازعون مع المترجم لكانت فيصلاً لهم وفرقاناً، ولكن وقع للجميع تعصب شديد كما شاهدته حين المذاكرة في هذه المسألة، ولم يزل المترجم على استقامته الجليلة إلى أن توفي بعد عصر يوم الأحد في (٢٦) جمادىٰ الثانية سنة (١٣٠٧) وأُخِّرَ تجهيزه ليوم الاثنين، ودفن بعد أن صُلِّي عليه في الجامع الأموي بمقبرة باب الفراديس. ومما امتنَّ الله به عليَّ قراءتي على الأستاذ المترجم، فإني لازمته مدة تنوف عن ثمان سنين، فقرأت عليه ختمة وأكثر من نصف أخرىٰ، على طريقة حفص، وسمعت منه «الميدانية» ثم «شرح الجزرية» لشيخ الإسلام[1] مرتين، ثم شرحها للشيخ خالد الأزهري، ثم معظم شرح منظومته المتقدم ذكره. وأجاز لي إجازة عامة بسائر مروياته، ثم إني أحببت أن أشرح «الميدانية» فشرعت فيه وأتممته سنة (١٣٠٤) وقابلته عليه بتمامه فاستحسنه وقرظ عليه، ثم اطلع عليه معظم فضلاء دمشق فكتبوا عليه. وهو أول مصنَّف لي ظهر للوجود. وعملت أيضاً جدولاً بديعاً في مخارج الحروف وصفاتها أطلعت أستاذنا المترجم عليه فأعجبه ودعا لي جزاه الله خيراً.

* * *

(١) يعني لشيخ الإسلام زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، المتوفى سنة (٩٢٥) وقيل سنة (٩٢٦)هـ. انظر «النور السافر» ص (١٧٢-١٧٧) و«شذرات الذهب» (١٠/ ١٨٦-١٨٨) و«كشف الظنون» (٢/ ١٧٩٩).

(١٠)

الشيخ محمد بن حسن بن عمر الشَّطِّي الحنبلي[1]، الفقيه الفرضي الحيسوب الفلكي المتفنن المتضلع.

ولد بدمشق في جمادىٰ الثانية سنة (١٢٤٨) ونشأ في حجر والده على أحسن تربية، وحفظ القرآن المجيد، ثم لازم دروس والده، فقهاً، وتفسيراً، وحديثاً، ونحواً، وصرفاً، وحساباً، وفرائض، وغير ذلك من الفنون، وبه انتفع وتخرَّج، وبعد وفاة والده لازم صدر دمشق الشيخ عبد الله الحلبي، فقرأ عليه مطولات النحو والفقه، وكان والده استجاز له من المحدِّث الكبير الشيخ عبد الرحمن الكزبري، والشيخ حامد العطار، والشيخ عبد الرحمن الطيبي، والشيخ محمد التميمي المصري حين نزوله بدمشق، فأجازوه جميعاً. ولما ورد دمشق العلاَّمة الشيخ محمد أكرم الأفغاني لازمه مدة إقامته[1] بدمشق في طرف من علم الهيئة وغيره، وأجاز له مروياته، وتصدر المترجم للإفادة وأقرأ في فنون شتىٰ وانتفع به جَمٌّ غفير خصوصاً أرباب مذهبه من النجديين، والنابلسيين، وغيرهم. وكان له اليد الطولىٰ في الفرائض والحساب. وكان مرجع دمشق في تقسيم المياه في البيوت والمزارع، وصار رئيس الكتاب في عدة محاكم بدمشق، وأخيراً

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٦/ ٩٣) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٦٧) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الربع عشر الهجري» (١/ ٩٣) و«الدر النضيد» (١٠٢) و«مختصر طبقات الحنابلة» (١٩٧) و«أعلام دمشق في القرن الربع عشر الهجري» (٣١٢) و«الأعلام الشرقية» (٢/ ٥٠٢) و«أعيان دمشق» (٢/ ٣٣٩) و«معجم المؤلفين» (٣/ ٢٢٨) و«القاموس الإسلامي» (٤/ ١٠١).

(١) في الأصل: «مدة استقامته».

محكمة الميدان، وله مؤلفات مفيدة، منها «الفتح المبين في تلخيص كلام الفرضيين» ومنها «صحائف الرائض»، قَسَم فيه فن الفرائض تقسيماً لطيفاً وجعله على رسم عناقيد وأشجار. وله رسالة في بيان بعض أقوال داود الظاهري، وكتاب في فن الحساب، وآخر في الهندسة والمساحة اختصره من كتاب والده، وضم إليه جملة قواعد وفوائد، وسماه باسم كتاب والده «بسط الراحة لتناول المساحة» وذيَّله بخريطة في رسم الأشكال الهندسية وبيان كيفية أخذ مساحتها. وله رسالة في مصطلح الحديث، وأخرىٰ في حساب المياه وأحكامها وشرح الدور الأعلى، وغير ذلك.

وبالجملة فهو أحد فضلاء دهره المتفوقين، ولم يزل على طريقته الحسنىٰ إلى أن توفي بعد عصر يوم الخميس رابع شهر رمضان سنة (١٣٠٧) ودفن يوم الجمعة بتربة الذهبية في مقبرة باب الفراديس[1] رحمه الله تعالىٰ.

* * *

---

(١) وهو الباب الشمالي لدمشق القديمة.

(١١)

الشيخ عمر بن طه بن أحمد العَطَّار الشافعي[١].

كان إماماً فاضلاً متفنناً، له يد طولىٰ في المعقولات ودقائق علوم العربية، كثير الاستحضار للشواهد والنكات، لطيف الطبع، حسن المعاشرة، متواضعاً.

ولد سنة (١٢٤٢) وحضر بعد أن ترعرع بعض مجالس عمه الإمام الشيخ حامد العطار، وأجاز له عموم مروياته. وقرأ على أجِلاَّء عصره، منهم: سيدي الجد فقيه الشام الشيخ قاسم الشهير بالحلاق، فقد حضر عنده في كتب جَمَّةٍ من فقه الإمام الشافعي، كـ«المنهج» وغيره، ولازمه وانتفع به، وكان يحكي عن لطائفه ومحاسن أخلاقه ما تتزين به المحافل. وأخذ النحو والصرف عن الشيخ محمد الجوخدار، وقرأ على العلامة ملّا بكر الكردي جملة صالحة من العلوم العقلية، وكذا على الهمام الشيخ مصطفى التِّهَامي المغربي. ولما وفد إلى دمشق العلامة الشيخ أكرم الأفغاني لازمه مدة إقامته بدمشق وهي خمسة أشهر تقريباً، ولما سافر العلامة المذكور منها إلى مصر تبعه المترجم، وأخذ عنه طرفاً من فن التصوف، وتمكن من قواعده واصطلاحاته، ثم عاد إلى دمشق، وتصدر للإفادة، وأقرأ في فنون شتىٰ وأخذ عنه جمع كثير، وألَّف مؤلفات

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٥/ ٤٨) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٥١) وفيه وفاته سنة (١٣٤٣)هـ و«تاريخ علماء دمشق في القرن الربع عشر الهجري» (١/ ١٠٢) و«أعلام دمشق في القرن الربع عشر الهجري» (٢١٢) و«أعيان دمشق» (٣٤٤) و«معجم المؤلفين» (٢/ ٥٦٠).

بديعة، منها «الفتح المبين في رد اعتراض المعترضين على محيي الدين[1]» تكفل بحلِّ ما استشكله السعد والقاري على العارف محيي الدين ابن عربي قُدِّس سره في «الفصوص» وغيرها، حيث لم يقفا على مراده قُدِّس سره، وفوَّقا سهام الاعتراض عفا الله عنهما. ومن مؤلفاته شرح لطيف على «الإظهار» ورسالة في حلِّ جهة الوحدة. وله غير ذلك. ولم يزل على سيرة جميلة إلى أن توفي في (١٧) رمضان سنة (١٣٠٨) ودفن بعدما صُلِّي عليه في الجامع الأموي في مقبرة باب الفراديس، رحمه الله تعالى.

* * *



(١) يعني الإمام الفيلسوف العارف الكبير محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي، المتوفى سنة (٦٣٨) هـ. انظر ترجمته الهامة في «شذرات الذهب» (٧/ ٣٣٢-٣٤٨) بتحقيقي.

(١٢)

الشيخ محمد بن الشيخ حسن بن إبراهيم الشهير بالبيطار الحنفي[1] **أمين الفتوىٰ** الفاضل المتضلع صاحب اليد العليا في دقائق الفتيا.

ولد في خامس عشر ذي الحجة سنة (١٢٣١) وقرأ القرآن، ثم حفظه وجوده على والده السالفة ترجمته. وتفقه عليه الفقه الشافعي، وقرأ منه كتباً كثيرة، ثم أشار عليه بملازمة الفهَّامة الشهير السيد محمد عابدين محشي «الدر» فحضر عنده في كتب متنوعة من فقه الإمام أبي حنيفة، وحفظ منه متوناً جَمَّةً، ولازمه الملازمة الكلية، واستنسخ جميع مؤلفاته في حياته. وكان يتوسم فيه النجاح. وحضر أيضاً مجالس المحدِّث الشهير الشيخ عبد الرحمن الكزبري، والشيخ حامد العطار، والشيخ سعيد الحلبي. وقرأ على الشيخ عمر المجتهد المتقدم ذكرهم جميعاً، وله منهم الإجازة العامة. وقرأ على غيرهم أيضاً. وبرع في الفروع الحنفية، ومهر وتقدم في ذلك واشتهر. ولما تولىٰ إفتاء دمشق أمين أفندي الجندي سنة (١٢٧٧) جعله أمين الفتوىٰ مدة، ثم تولاها في عهد محمود أفندي الحمزاوي، وبعده في أيام محمد أفندي المنيني، ولم يُعَوَّلْ بها على غيره. وكان متفرداً في استخراج مظان المسائل. كاد أن لا يخفىٰ عليه حكم مسألة لسائل، حافظاً للأحكام الشرعية والنظامات المرعية. وكان متىٰ سئل عن سؤال أحضر النص في الحال. وبالحقيقة لم تلق هذه الأمانة في زمنه إلا إليه. وكان متواضعاً، لطيفاً، متودداً، لا يميل

---

(١) ترجمته في «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ١١٩) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٦٨) و«أعيان دمشق» (٣٥٤).

إلى التنعم والتوسع ولا إلى الظهور والترفع. وذكر لي أخوه بهجة الفضلاء الشيخ عبد الرزاق أفندي البيطار أنه كان يلازم نسخ الكتب فوق العادة، وأنه نسخ في زمنه خمسة آلاف كُرَّاس وزيادة. ولم يزل على حالته الحسنىٰ إلى أن مرض أياماً مرضه الذي توفي فيه وعُدته في داره في الميدان جوار الزاوية السعدية، ثم دعاه داعي الانتقال في سابع ذي الحجة سنة (١٣١٢) وحضرت الصلاة عليه بجامع الدقاق، ودفنه في تربة القبيبات جوار السيد تقي الدين الحصني، رحمه الله تعالى.





(١٣)

الشيخ محمد بن محمد بن محمد هلال الحموي الشهير بالهلالي[1]**، والمعروف جدّه** بالمفتي، والمتصل نسبه بالأمير حسن بن الأعوج المترجم في «تاريخ المحبي»[2].

كان أديباً، شاعراً، محسناً، نبيه الذكر في الأدب.

ولد سنة (١٢٤٢) بحماة، ونشأ في حجر أبيه، وقرأ على عمه الشيخ محمد زهير، وعلى الشيخ إبراهيم الدباغ، والشيخ محمد الدباغ، وعلى غيرهم من مشايخ حماة، وأقبل بكليته بعد ذلك على النظم والنثر وبرع فيه، وفاق في استخراج معانيه، ثم رحل بعائلته إلى دمشق واتخذها وطناً إلى أن توفي سنة (١٣١٢) ودفن بمقبرة باب الفراديس. وكان لطيف المحاضرة. فقيراً جداً، وله ديوان بديع مشهور، رحمه الله تعالىٰ.



* * *

---

(١) ترجمته في «الأعلام الشرقية» (٢/ ٨٠٣) و«معجم المؤلفين» (٣/ ٦٩٧) و«الأعلام» (٧/ ١٣٢) وفيه وفاته سنة (١٣١١) هـ.

(٢) انظر «خلاصة الأثر» (٢/ ٤٥).

(١٤)

الشيخ أحمد بن حسن بن عمر الشَّطِّي الحنبلي[1] خاتمة أجلاء العلماء الحنابلة بدمشق والمتفنن في فنون شتىٰ.

ولد سنة (١٢٥١) بدمشق، ونشأ في طلب العلوم بعد حفظه الكتاب المجيد، وتربىٰ في حجر والده، وتفقه عليه، كما حضره في فنون عديدة، من أخصها الحساب والفرائض والهندسة وطرف من علم الهيئة والحكمة، وبعد وفاة والده قام مقامه في إفادة الطالبين على سمت حسن وهدي بديع، وحضر مجالس أوحد الأجلاء الشيخ عبد الله الحلبي في بعض الفنون. ولما قدم العلاَّمة الشيخ محمد أكرم الأفغاني لازمه في بعض الفنون الرياضية والعقلية مدة إقامته بدمشق. واستجاز له والده من مسند الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري، و[من] الشيخ سعيد الحلبي، و[من] الشيخ عبد الرحمن الطيبي، وتولى فرضية بلدية الشام سنين عديدة. وكان لطيف الأخلاق، محبباً للكافة، كثير التواضع على سَعَة فضله. وكان فصيح اللسان، مسبوك العبارة في التقرير، عادلاً عن حب الشهرة والظهور إلى التعفف والخمول. انتفع به كثيرون، وكنت أحببت أن أتصل بسلسلة السادة الحنابلة جرياً على عادة المحدِّثين فاستجزته رحمه الله تعالى. وأظهر عند طلبي منه ذلك التواضع الزائد وعدم الأهلية، أعلى المولىٰ مقامه. وكانت تضمني وإياه مجالس لطيفه تحوي محاورات رائقة ونكات شائقة. ولم يزل على طريقته المحمودة إلى أن توفي في (٢٢) صفر سنة (١٣١٦) عقب نزوله من مجتمع لطيف في جهة وادي الربوة، ولم يسبق له مرض ظاهر، تغمده المولىٰ وإيانا برحمته وغفرانه.

* * *

---

(١) ترجمته في «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧١٣) و«الأعلام الشرقية» (٢/ ٤٤٠) و«معجم المؤلفين» (١/ ١٢٣) و«أعيان دمشق» (٣٧٧) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ١٤٤) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٨) و«حلية البشر» (٣/ ١٦٢٥).

(١٥)

الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله الخاني الدمشقي النقشبندي[1]، شيخنا العالم المحقق والصوفي المدقق.

ولد سنة (١٢٤٧) ونشأ في حجر والده المرشد الجليل، وتلقىٰ عنه جملة صالحة من فنون شتىٰ، واستجاز له والده من مسند الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري، فأجاز له إجازة عامة. وتخرج في العلوم العقلية والنقلية على العلامة الكبير الشيخ محمد الطنطاوي. ولما توفي والده سنة (١٢٧٩) قام مقامه في الإرشاد وقراءة الدروس العامة والخاصة في جامع المرادية في محلّة السويقة. ووجه عليه مرتب والده عن تكية الجامع المذكور. وفي عام (١٢٨٠) تزوج بنت علامة عصره الشيخ خالد النقشبندي، فحظي بذلك، وسافر صحبتها إلى الحج والآستانة، ثم اتصل بالأمير السيد عبد القادر الحسني الجزائري نزيل دمشق، وصحبه، وسمع منه «صحيح البخاري» كله في دار الحديث، وأجاز له إجازة عامة، وجعله الأمير من خاصته، ورتَّب له مرتباً لائقاً بقدره، وأقامه وصياً على أولاده القاصرين فأحسن كفالتهم. وكان الأمير أوصىٰ له بعشرة آلاف قرش فلم يقبلها المترجم بعد وفاة الأمير، وقال أقوم بالوصاية حسبة قياماً بحقوق الصحبة والفواضل السالفة منه. وحج مراراً. ولما حج صحبة والده عام (١٢٦٢) استجاز من

(١) ترجمته في «أعيان دمشق» (٣٧٦) و«الأسرة الخانية» (٣٧) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٣٢١) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ١٥٢) و«الحدائق الوردية» (٢٧٦) و«حلية البشر» (٣/ ١٢١٥).

العلامة الشيخ عثمان الدمياطي. وسافر صحبة شيخه العلامة الطنطاوي المتقدم سنة (١٢٧٨) إلى مصر، واستجاز من فضلاء أزهرها، كالشيخ إبراهيم السقا، والشيخ محمد الخضري. وفي آخر حجاته سنة (١٣١٠) أصيب بأحد أنجاله النجباء، وهو الشاب الشيخ بشير، لم يبلغ العشرين عاماً، وصبر على فقده صبراً جميلاً. وكان من عادة شيخنا المترجم الملازمة على الخلوة في رمضان وعشر ذي الحجة. وكان مفرداً في اللطف والبشاشة ومؤانسة الجليس، موصوفاً بوفور العقل والدهاء، قوي الفِرَاسة، ثابت الجأش، كثير الحِلْمِ والتؤدة، لا تأخذه حدة. وقوراً للغاية، لا يمل جليسه حديثه. زيد بسطة في العلم والجسم، محبباً لدىٰ الخاصة والعامة. وكان يجتمع عنده جمعية وافرة يوم الثلاثاء والجمعة في جامع المرادية لإسماع الحديث، فيجلس لديه عدد عديد من عيون الطلبة وغيرهم على وقار وهيبة إلى انتهاء الدرس. وكان يوم الثلاثاء والجمعة عنده في الجامع المذكور من المجامع الغريبة كأنه موسم يوفد إليه من غالب أنحاء الشام حباً في المترجم لما حوىٰ من مكارم الأخلاق، وهو أحد مشايخي الذين صحبتهم وانتفعت بهم، قرأت عنده كتباً عديدة من فنون متنوعة ولازمته ملازمة تامة ليلاً ونهاراً من سنة (١٣٠٣) إلى عام (١٣٠٩) وسمعت منه حصةً وافرة من «الموطأ» و«البخاري» و«سنن أبي داود» و«الترمذي» وأجاز لي إجازة عامة. وكان يودّني المودة الأكيدة ويتفقدني إذا أبطأت عن زيارته لعارض، ويقبل إليَّ في مجلسه الإقبال الزائد، ويخصني بالمحاورة والمحاضرة. وأصيب قبل وفاته بعام ونصف بغشاوة على بصره سرت للحدقتين وفَقَدَ الإبصار رأساً، ثم تفقد أطباء الشام فقالوا: يمكن المعالجة ويزول هذا العارض، فتوقف خشية عدم الفائدة، ثم أشير عليه بالذهاب إلى بيروت والمعالجة ثمة، فقصدها،

وكان ينتابها كثيراً ويستحسن هواءها، فمكث بها نحواً من شهرين وعالجه أحد مهرة الأطباء فعوفي بحمد الله مما ألمَّ به وارتد بصيراً فَسَرَّ ذلك الأهل والأصحاب، بيد أنه لم يلبث نحواً من خمسة أشهر بعد ذلك حتى فاجأه الحِمَام[1] وذلك صبيحة الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة (١٣١٦) توفي على إثر نوبة في صدره اشتدت عليه من الليل إلى الصباح وفيه أسلم روحه الطاهرة، فكان لمنعاه رَنَّةُ أسفٍ وصُلِّي عليه في الجامع الأموي قبل العصر، ثم حمل إلى تربة الشيخ خالد - قدس سره - في الصالحية ودفن جوار والده، وكان الجمع في مشهده وافراً، رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة.

* * *



(١) قال ابن منظور: الحِمَامُ قضاء الموت وقدره. انظر «لسان العرب» (حمم).

(١٦)

والد جامع هذا الكتاب، هو نخبة الفضلاء وزهرة الأدباء:

الشيخ محمد سعيد ابن الشيخ قاسم ابن الشيخ صالح بن الشيخ إسماعيل القاسمي الدمشقي الشافعي[1].

ولد في دمشق رابع محرم الحرام عام تسع وخمسين ومائتين وألف (١٢٥٩) ونشأ في حجر والده، وحضر دروسه في الفنون العربية والعلوم الشرعية، وعكف عليه في حياته، ولازم خدمته، وأقام على مرضاته ورعاية الأدب معه بما لم يسمع بمثله، حتى كان لا يرفع طرفه بحضرته إلا وقت محادثته، وكان بسبب ذلك يمنحه الجدّ وذرّيته دعواته الصالحة وتوجهاته القلبية الناجحة التي ظهر أثرها وبركتها -والحمد لله تعالى- عليه وعلى سلالته. ولما توفي والده عام أربع وثمانين ومأتين وألف كما تقدم قام مقامه في إمامة جامع السنانية وإحياء دروسه الليلية والنهارية، فأفاد الجليس، ونشر الدر النفيس، وانتفع بعلومه وآدابه الكثير من طلبه العلوم. وقد شهد لجنابه الخاص والعام بالفضل والذكاء وكمال القريحة ورقة الحاشية ولين الطباع، حتى كان الأدباء يسعون لسماع خطابه والتلذذ بكل ما يبديه من بديع الفوائد. وله أخذ وسماع وتحصيل عن غير

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٦/ ١٤١) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجرة» (١/ ١٦٩) و«معجم المؤرخين الدمشقيين» (٣٩٠) و«أعيان دمشق» (٣٨٧) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجرة» (٢٦٩) و«الأعلام الشرقية» (١/ ٣١١) و«معجم المؤلفين» (٣/ ٣٢١) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٢٢).

والده الجليل، من أساتذة محقّقين، وأفاضل كاملين، منهم الشيخ محمد الطنطاوي، والشيخ سليم العطار، والشيخ محمد المنير، والشيخ عمر العطار، والشيخ سعيد الأزهري النابلسي البصير وغيرهم، بوأهم الله دار السلام. وفي سنة إحدى وثلاثمائة وألف ذهب لزيارة بيت المقدس الجليل، ودُعي لأداء فريضة الحج ذلك العام، وعاد إلى الأوطان بغاية البهاء والاحتشام، وكان له إقبال عظيم على شأنه، وانزواء شديد عن أكابر زمانه، وكان له مهابة في النفوس، أمّاراً بالمعروف نهّاءاً عن المنكر، له حدة في الحق عُمرية، وثبات جأشٍ وقوة جنان علية، ومع هذا فتواضعه في نفسه واطراحه مع صحابته أمر يقضي منه العجب، وقد رزق طلاوة النطق وحلاوة التعبير، وانفرد عن أقرانه في دروسه بفصاحة التقرير وجودة التحرير، فإذا تكلم خَلَبَ الألباب، كما إذا كتب سحر ببلاغته الكُتُّاب، وربما بقي في الكلام على حديث واحد ليالي متعددة يبث فيها سبائك المناسبات، والفوائد المستنبطات، وبالجملة فلقد كان رضي الله عنه آية في استحضار الشواهد وتقرير الأحكام، وكان حريصاً على مطالعة الكتب وجمع الفوائد، ملازماً لبيته، لا يخرج منه إلا لصلاة الجماعة أو لمآرب صالح، هذا عدا عن الصلاح الغض، والوفاء المحض، وما امتاز به من حسن السجايا، ولين العريكة، وكرم المزايا، وكان له في دعائه أكبر خضوع، وفي صلاته خشوع وأي خشوع، وكان حسن الظن بمولاه، متين اليقين، غزير الدمعة عند ذكره الرقائق وتقصير النفس. وقد مدحه كثير من الأدباء في قصائد غراء، فمن ذلك للأديب الفاضل الشهير السيد الحسين الحبال البيروتي مطرزاً (مولاي سعيد) هذه الأبيات:

منـازلهم بالشّـام بـين الجـداولِ ... سـقاكِ وحيـاكِ الحيـا مـن منـازلِ

ولا بارحت تلك الرياض حمائمٌ تهيج إذا تبدي الهديل بلا بلي

لها مثل نوحي غير أني بأدمع تسيل ومنها الدمع ليس بسائلِ

إليك حمام الأيك مني رسالةً توصلُها نحو الحبيب المواصلِ

يمد لها كفاً أَوَدُّ بأنني أفوز بمرآها ولثمِ الأناملِ

سليل كرام فاق قِسّاً[1] فصاحةً وجَرَّ على سَحْبَانَ[2] ذيلَ الفضائلِ

علا منبراً لو كان يعلم ما انبرىٰ عليه لأبدىٰ الفخر في زي باسلِ

يؤم الورىٰ في جامع فيه للورىٰ صلاة وتسبيحٌ وتنبيه غافلِ

دعوه[3] سعيداً والسعادة ذاته ولا زال بدراً سعده غير آفلِ

وقد جمع – أعلىٰ المولىٰ مقامه – مصنَّفات أدبية ومجموعات بهية، منها: «بدائع الغُرف في الصناعات والحِرَف» لم ينسج ناسج علىٰ منواله، ولا ازدانت صحف الصناعة بسفر على مثاله، أوضح فيه الصناعات الشامية، على الحروف الهجائية، فغدا كـ«القاموس المحيط» لمفرداتها والضالة المنشودة المتوشّحة بلآلئ تحريراتها، بيد أنه

(١) يريد (قس بن ساعدة الإيادي) أحد حكماء العرب وخطبائهم في الجاهلية. انظر ترجمته في «الأعلام» (١٩٦/٥).

(٢) يريد سحبان وائل، وكان خطيباً يضرب به المثل في البيان، يقال: «أخطب من سحبان» و«أفصح من سحبان» اشتهر في الجاهلية وأدرك الإسلام وأسلم في زمن النبي ﷺ ولم يجتمع به. مات سنة (٥٤) هـ. انظر ترجمته في «الأعلام» (٧٩/٣).

(٣) أي سمّوه.

وصل إلىٰ منتهىٰ حرف السين، وحالت المنون دون إتمامه علىٰ نهجه المبين[1]. ومن تآليفه البهية تنقيح «الحوادث اليومية الواقعة في دمشق المحمية» التي جمعها الشيخ أحمد البديري الشهير بالحلاق. ومن تصانيفه الفائقة كتاب «الثغر الباسم في ترجمة والده سيدي الجد العلامة الشيخ قاسم» ومنها: «سفينة الفرج فيها هَبَّ وَدَبَّ ودرج» على نمط «الكشكول»[2] صاغها من سبائك الفوائد وطرَّزها بنفائس الفرائد، وكان رحمه الله جميل الشكل، حسن البزَّة، بديع الصوت، له معرفة جيدة بالأنغام، حفظ نحو نصف القرآن الكريم، جيد الأداء. وقد نسخ بخطه البديع كثيراً من الكتب النفيسة، وكانت تدعوه الوزراء بالمكاتبات للمحافل الرسمية فلا يحضرها تعففاً عن الدخول والمزاحمة فيها لا يجديه. ولم يطمح نفسه لطلب الوظائف والرحلة إليها، وحماه المولىٰ من ذلك. وكان ينكر علىٰ من أدخل نفسه من أهل العلم في تلك الأبواب. ولم يرحل إلا إلىٰ المساجد الثلاث[3] فقط، رضي عن المولىٰ باليسير من الرزق وخلف أباه الماجد في

---

(١) وقد تممه المؤلف العلامة الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله بعد وفاة والده بالاشتراك مع صهره الأستاذ خليل العظم، ثم قام بتحقيقه ابن المؤلف الأستاذ ظافر القاسمي رحمه الله ونشره بدمشق منذ سنوات طويلة، ثم أعادت طباعته مصوراً دار طلاس بدمشق سنة ١٩٨٨.

(٢)وهو لبهاء الدين العاملي. وقد نشرت «سفينة الفرج» في بيروت بعناية الأستاذ محمد خير رمضان يوسف.

(٣) يعني المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، وذلك عملاً بقول رسول الله ﷺ: «لا تشد الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى» الذي رواه البخاري رقم (١١٩٧) في فضل الصلاة في مكة والمدينة: باب مسجد بيت المقدس، ومسلم رقم (٨٢٧) في الحج: باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره واللفظ له، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الفضل والشهرة والذكر الحسن بين الناس، وتودد الفضلاء إلىٰ زيارته، واقتنىٰ كتباً نفيسة، وكان لا يرىٰ للعيش لذة ولا للحياة قيمة إلا في سبيل مطالعة الكتب، فلا يمل منها ليلاً ولا نهاراً، وربما قطع معظم الليل في ذلك، حتى كانت أدوات كتابته وما يطالعه جنب فراشه. وكان لا يجارى في المحاورات العلمية لقوة استحضاره أطراف المسائل، ومن جاراه في مسألة لا يثبت معه ويحار من سرعة أجوبته ومناقشته وكثيراً ما كان يعترض أثناء مطالعته بعض المباحث المدَّونة في الحواشي والشروح، ويقرر وجه المناقشة فيها ذكاءً وفهماً ثاقباً.

وبالجملة فمزاياه الجليلة وشيمه الجميلة أجل من أن يحصيها قلمي، ويمليها علىٰ طرسٍ فمي. ولم يزل على طريقته الحسنة وفضائلها المستحسنة إلىٰ أن فجعنا بجوهره الخطير، ويا له من مصاب كبير، استهوىٰ المدامع، ودق الأضالع، وذلك صباح يوم الجمعة ثالث عشر شوال سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف فجأة. وكان يومئذٍ أدى صلاة الفجر إماماً بجامع السنانية ثم قدم إلى داره. وجئت على أثره من جامع العنابة وجلست معه نتجاذب أطراف الأحاديث حتى هيء لنا شراب الشاي فتناولناه معاً على صفاء وسرور، ولم أزل أسقيه حتى قال لي: اكتفيت، وجلس بعد شربه حصة ثم قام فتبعه ابني ضياء الدين وله عامان ونيف، فقلت له وهو واقف: ما أولع ابني بك يا سيدي، فالتفت إليه ولاطفه ثم خرج إلى صحن الدار، فتبعته ابنتي، ثم دخل إلى محل آخر واستند إلى حائطه وفاضت نفسه الكريمة، فلم نشعر ونحن في محلنا إلا وابنتي مسرعة فزعة دخلت إلينا قائلة جدِّي لا أدري ما أصابه.

ولما صافح الأسماع منا تقطعت الضمائر والقلوب

فخرجنا جميعاً فأدركناه مغميّ عليه وذلك في الضحوة الصغرىٰ، فحينئذٍ بادرت لإحضار الأطباء، فأشاروا ببعض وضعيات وبالانتظار أربعاً وعشرين ساعة، ولكن ما الحيلة وليس في الإمكان ردُّ ما كان ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبتنا ليلتئذٍ في حال وأي حال، استعنا عليه بالصبر لأمر المولىٰ المتعال، وضحوة اليوم التالي (السبت) احتفل بمشهده احتفالاً حافلاً جداً يشهد بما له في قلوب الناس من سمو المكانة والمنزلة العليا، مشىٰ فيه جمع كبير من العلماء، والشرفاء، والأعيان، وعوام لا يحصون عداً، حتى غصت الشوارع والأسواق، وهم آسفون على أفول ذلك البدر، ذاكرين لصفاته الغرّ ومحاسنه التي أبكت مقلة الدهر، فكان مشهداً مؤثراً ومأتماً محزناً. وما كنت ترىٰ إلا عيناً تدمع وقلباً يصدع. وسئلت عن موضع الصلاة عليه أفي الجامع الأموي، فقلت: بل في جامع السنانية الذي كان موطناً لعبادته مدة حياته السنية. فلما دخلنا الجامع قدِّمت للصلاة عليه استاذنا العلامة شيخ الشام ومقدم علمائها الأعلام الشيخ بكري أفندي العطار، زيد فضله المدرار، ثم سرنا بمشهده الكبير إلى مقبرة الباب الصغير، واستودعناه خزانة عفو الله وغفرانه وروضة كنز رحمته وإحسانه، فكان مرقده الأعطر خلف مقام سيدي الجد الهمام، ووراء ضريح العلامة الشيخ إسماعيل الحائك مفتي الشام.

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرىٰ ... إن الكواكب في التراب تغورُ

ومن غرائب الاتفاق الذي وقع لسيدي المرحوم، رضي الله عنه، أنه وقف في الجامع الصغير. وكان أعاد قراءته ثانية بين العشائين في جامع السنانية عند الحديث

الذي رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» عن أبي هريرة مرفوعاً: «ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذىٰ بجار السوء كما يتأذىٰ الحي بجار السوء»[1].

ولا بأس بذكر شيء من منظوماته اللطيفة فمنها قوله:

قصور عزائمي أبداً بواذخ ... ودور فضائلي بنيت شوامخ

وهمي همتي في دار دنيا ... بوضع مآثر تتلىٰ لناسخ

ورفع لواء شعري بين نثري ... لجمع كتائب الأشعار ناسخ

مديحي للحبيب حياة دهر ... وهجوي للعِدا بالحتف صارخ

ونثري في مراسلتي لآلٍ ... بديع بيانها المنظوم باذخ

ومن وصفي التعفف وهو حسبي ... به استغنيت من بين المشايخ

وقوله:

من رام يدخل باب النصر والفرج ... فليجتنب صحبة الأوغاد والهمج

وليعتزل أهل هذا الوقت أجمعهم ... إلا لمن كان ذا دينٍ بلا عوج

أو كان صاحب علم عاملاً ورعاً ... أو ذا سخاء فما في ذاك من حرج

واستعمل الناس مثل النار منقبضاً ... منها وخذ نفعها واحذر من الوهج

فاسمع خليلي نصحي إنني رجل ... قد جرب الناس في ضيق وفي فرجِ

---

(١) رواه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٥٤) وانظر «كشف الخفاء» رقم (١٦٩).

وقال رحمه الله تعالى في حال المداهنين:

يقول لــك المنافــق وهــو أدرىٰ ... بأســلوب النفــاق بــما تمــادىٰ

إذا صَلُحَ الزمـــان فـزد صـلاحاً ... وإن فســد الزمــان فــزد فســاداً

وقال أعلى المولىٰ درجته:

إذا لم أجــد لي في الزمـان مؤانسـاً ... جعلت كتـابي مـؤنسي وجليــسي

وأغلقت بابي دون من كان زاغني ... وأمليت مـن مـال القناعـة كيسي

وكتب رحمه الله تعالى لأستاذ شقيقي صلاح الدين، وهو الشيخ زاهد شيخ الأرض:

يا أوحداً بالفضل يا سـامي الـذُرا ... يانافعــاً بـــالعلم أبنـاء الـورى

أنــت الهُــمام الزاهــد الحبر الــذي ... أقـلام خطـك بـالجواهر تُشـترى

فامنح صلاح الدين منـك محاسـناً ... علــماً وتجويــداً وخطــاً أزهـــرا

فلأشـكرنك شـكر خـلٍّ صـادق ... في حبـــه ويحـــق لي أن أشـــكرا

لازلت ترقـىٰ كـل فضـل جـامع ... وتــزين المحــراب بـل والمنــبرا

وقال رضي الله عنه:

حظـوظ النـاس لا تحصى بحفـظ ... فهـــاك أجلهـــا في حســـن لفـــظٍ

فعلـــمٌ ثـــم مـــالٌ ثـــم جـــاهٌ ... فحسبي أن يكـون العلـم حظـي

أطــالع مـــن بدائعـــه فنونـــاً ... وأبعد عــن غليظ القلـــب فـظٍّ

وقال أيضاً:

كل من يبغي سوى المولى نقص | واعتراه من ذوي الدنيا غصصْ
وإذا أمَّل منهم حاجة | نغصْ المسؤول عنها ونكصْ
مكفهر الوجه لو أبصرته | قلت من أين له داء البرصْ
وعلى السائل فرضاً لو سخى[1] | مرة ألقاه في ذل القفصْ
فاترك العالم طراً ثم سل | ملكاً يرغب أن تؤتى الرخصْ
منعماً بَراً كريماً رازقاً | ليس يرضى عن عُبيد قد حرصْ
عالماً إجمال أحوال الورى | فهو أدرىٰ في تفاصيل القصصْ

وقوله مخاطباً الفقير في إبَّان النشأة:

رضاء الله يا ولدي عليكا | وعين الله ناظرةٌ إليكا
فلازم درس أستاذ رشيد | نصوح مخلص راضٍ عليكا
لتخرج عالماً في كل فن | وتبقى الناس طوعاً في يديكا

وقال مطلع قصيدة:

حتى متى أنت يا قلبي على مهل | تسعى وترعى مع الأنعام والهملِ
لقد أضعت لذيذ العمر أطيبه | باللهو والسهو والتسويف والكسلِ
وخضت بحر توان العجز في خطر | وجزت وعر هوينا الذل بالخطلِ
حتى وصلت لحال كله عدم | فما تميز بين الخَلِّ والعسلِ

---

(١) كذا في الأصل، والأصح أن يقال «سخا» بالألف الممدودة.

هلا تداركت باقي العمر في همم … تسعى إلى شرف بالجد والعجلِ

لعل تدرك فضلاً أو تنال منى … من جانب الفضل والعرفان بالعملِ

فهل رأيت فتى آوى الحضيض وقد … أراد يرقىٰ بهذا منزل الحملِ

أم هل رأيت جباناً آب منتصراً … كلا فليس جبان القوم كالبطلِ

فانهض وسر طالباً هام العلا لتفز … بها تريد وتبلغ غاية الأملِ

أما ترى الشمس لولا السير ما وصلت … للغرب كالبدر لولا السير لم يصلِ

واستعمل الحزم والعزّ اللذين هما … للمرء كالدرع تأمن من بني ثُعَلِ

فإنني شمت بيتاً فيه من حكم … تغني اللبيب عن التفصيل والجملِ

من ضيَّع الحزم لم يظفر بحاجته … ومن رمى بسهام العجز لم يؤلِ

فلا تضيِّع ساعات الدهور فلن … يعود ما فات من أيامه الأُولِ

ولا تصاحب إلا من تُزان به … من كل شهمٍ سليم القلب من عللِ

وقال أيضاً [في] مطلع قصيدة:

حتى متى يا نفس ويحك خاملةْ … وأراك دوماً للشدائد حاملةْ

إني إليك لمشفق فاصغي لما … أبديه نصحاً لا تكوني ذا هلةْ

ضيّعت عمرك في البطالة فاحزني … أسفاً عليه فقد أضعتي عاجلةْ

ترمي الزمان بسهم رأي فاسد … إذ تزعمي لو شاء أعطى سائلة

أحسبت كل فضيلة تأتي على … كسل فأنت إذاً لعمري غافلةْ

أم هـل طمعـتِ بـأن تنـالي رفعـة ... هيهات إنك في الحضيض لنازلـهْ

أم هل زعمت بسوف أو بلعـل أو ... بعسـىْ تنـالي أو تكـوني واصـلهْ

فـإلى متـى هـذا الخمـول إلى متـى ... هـذا وأنـت لكـل فضـل قابلـهْ

فــدعي التواني والهوينا واعلمـي ... أن الهوينـــا للهـــوان مقابلـــهْ

واستدركي عمراً مضى من ما بقي ... منـه فإنـك عـن قريـب راحلـهْ

واســتنهضي وتيقظـي وتـبصري ... وترقبـي فـرص الزمـان القابلـــهْ

فاستيقظت تبكـي عـلى مـا فاتهـا ... وتأملـت نصـحي لهـا ودلائلـهْ

قالت فديتك مـن طبيـب ناصـح ... يصـف الـدواء لمـن يريـد تناولـهْ

وقال في الشتاء:

ذهـــب الربيـــع بـــورده وبلينـــه ... وأتـــى الشـــتاء بـــبرده وبطينـــه

أمـا الفقـير ففـي الشـتاء هلاكـه ... مـــن همـــه في فحمـــه وعجينـــه

وبسقف بيـت عيالـــه مـن وكفـه ... وبرجفـــه مـــن بـــرده وأنينـــه

ومن غزلياته قوله مطلع قصيدة:

الشـــوق راق والهـــوى يتجـــــدد ... والوجـد بـاق والقـوى تتجلـد

والصبر قل ومقلتـي تنفـي الكـرا ... والقلـــب ذل ومهجتـــي تتوقـــدُ

في أهيف يزري الغصون إذا انثنى ... فإليـــه تركـــع إن رأتـــه وتســـجدُ

يحكـــي الغزالـــة خفـــة وتلفتـــاً ... والبدر يخجـل مـن سـناه ويحسـدُ

ما الفجر إلا من صباح جبينه ... والفرق زاه كان منه الفرقدُ

فعبير عنبر خده من خاله ... أبداً وعطر الورد منه مجردُ

يا قاتلي بمثقل من ردفه ... مهلاً فخصرك في نحولي يشهدُ

عجباً يتيه ولم أنل غير الجفا ... عجباً له وهو السخي المقصدُ

فإذا طلبت الراح فيه فلا تحد ... عن فيه واشرب فهو نعم الموردُ

واذكر عقيق الأبرقين وغنِّ لي ... لحن الصبا ودع العذول يعربدُ

كم راح نحوي لائم في حبه ... يا ويحه أو ما درى من يجحدُ

تالله ما لام العذول ولا وشا ... إلا أزيد محبة وأجددُ

كيف الذي أهتز شوقاً كلما ... ذكر اسمه ومودتي تتأكدُ

وأحب من كان اسمه طبق اسمه ... وأود شوقاً من له يتوددُ

يا رامياً قلبي بنبل لحاظه ... يكفي فنار صبابتي لا تخمدُ

يا متلفي بصدوده مهلاً فقد ... حار الطبيب ومل مني العُوَّدُ

* * *

(١٧)

الشيخ محمد بن علي بن عبد الرحمن الطيِّبي الشافعي[1] مفتي حَوْرَان وأحد فضلاء الزَّمَان.

ولد بدمشق سنة (١٢٤١) ونشأ على طلب العلم، وتفقه على أبيه وجده فقيه عصره، وقرأ جانباً من فنِّ الحساب على أبيه، واشتغل في الفرائض والحساب أيضاً على العلامة فرضي دمشق الشيخ حسن الشَّطِّي، وطالع الربع والاسطرلاب وطرفاً من الهندسة على الفاضل ميرزا جعفر العجمي، وقرأ طرفاً من الهيئة على العلامة الشيخ محمد أكرم الهندي الأفغاني، وعلى القاضي محمد الجيلي. ورحل في شبابه إلى مصر، وأدرك العلامة الباجوري، وحضر دروسه. ولما عاد من الحجاز الفهَّامة الشيخ حامد العطار إلى مصر سنة (١٢٦٠) أمر المترجم بالعود إلى دمشق لملاحظة شؤون جده المنوَّه به، وقد كان والده الشيخ علي توفي في حياة جده، فعاد إلى دمشق وتلقىٰ جانباً من الحديث على جده وعلى مسند الشام الشيخ عبد الرحمن الكزبري، والشيخ حامد العطار المنوه به، وخدم المترجم في أمانة فتوى الشام مدةً وفي تقسيم المواريث والمياه في الشام. وقرأ الدرس العام في الجامع الأموي، ورحل مع جده المذكور سنة (١٢٦٣) إلى

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٦/ ٣٠١) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٢٨٩) وفيه وفاته سنة (١٣١٨) هـ و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ١٧٣) و«معجم العلماء العرب» (٢/ ٨٩) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٣١٦) و«أعيان دمشق» (٣٨٢) و«معجم المؤلفين» (٣/ ٥١٨) و«أعلام الحضارة العربية الإسلامية» (٦/ ٢٥٤) و«معجم المطبوعات العربية والمعربة» (٢/ ٢٥٤).

الآستانة لما دعي لحضور ختان أنجال السلطان عبد المجيد خان. وكان شيخ الإسلام عارف حكمت بك عرض على جده أن يدخل حفيده في سلك الموالي فلم يقبل. وله تصانيف مفيدةٌ، منها «خلاصة الترجيح للدين الصحيح» طبع في مصر، و«مناسك الحج» وكتاب في فنّ المساحة وتحويل الأقيسة العتيقة إلى الأقيسة الجديدة مع تحويل الأكيال والأوزان. وابتكر طريقاً سهلاً لضرب الأفق والدراهم في الغروش والبارات، وطريقاً سهلاً لضرب الأذرع والقراريط أو الغروش والبارات في مثلها، وأودع ذلك كله ضمن رسالة. وفي سنة (١٢٨٨) انتخب لإفتاء حوران فتقلده بمنشور من باب المشيخة بمعاش شهري قدره (٤٧٥) قرشاً ثم حوّل إلى (٣٤٢). و[كانت] له وظيفة النظر في مقام الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه، المدفون في غور بيسان، وهذه الوظيفة فخرية بدون معاش متوارثة من أسلافه. وكان قد اتخذ المترجم قرية طفس من حوران وطناً له، وكان يتردد إلى مركز المتصرفية بالشيخ سعد، ويأتي لدمشق كثيراً، وكان له أدب وافرٌ في المحافل والمجالس، وقوراً، متئداً في المحاورة. ولما رحلت إلى حوران في ذي الحجة سنة (١٣١٤) إجابة لدعوة أحد الأخصاء، وكان سبقني إليها سيدي الإمام الوالد قدس الله سره، اجتمعت بالمترجم في المركز أياماً عديدة، وكانت مجالسنا بالمذاكرات العلمية حميدة. ولما عزمنا على الرحلة منها ذهبنا إلى طفس ونزلنا في داره، وكان خطر لي لما أشرفت على بطاح طفس السندسية هذا المفرد:

يا نسيم الأُنس من نحو طَفَسْ ... طاب من مسراك ذيّاك النَّفَسْ

فأنشدته للمترجم وأشرت عليه بأن يذيله بأبيات من نظمه، فبعد وصولنا للوطن راسل سيدي الوالد عليه الرضوان بكتاب مطلعه المفرد المتقدم مع تذييله وهو:

يا نسيم الأنس من نحو طفس ... طاب من مسراك ذياك النَّفَسْ

هل ثُرىٰ تربتها طيِّبة ... أم جمال الدين ذا فيها غرسْ

مرَّ مع والده الحبر الذي ... نشر الفضل وأحيىٰ ما اندرسْ

سادة زاروا رباها بغتة ... لاكتشاف غرّة منا وجسْ

وأقاموا ساعة أو نحوها ... ورجونا مكثهم حتى الغلسْ

فدعتهم شامهم أن يسرعوا ... أين روض الشام من أرض طفسْ

ركب الوَابُورَ كل بعضهم ... واقف والبعض منهم قد جلسْ

ليتهم لم يوحشوا المفتي الذي ... بعدهم أورثه طول النفسْ

كلما يذكر ما فاه به ... حبرهم فتحاً لقولي ذا وأسْ

أيْ جمالَ الدِّينِ كرر طَرباً ... مطلع النظم ودع عنا البَلَسْ

فلك الفضل به بيت القصيـ ... ـد فنظمي من معانيه اختلسْ

وصلاتي وسلامي أبداً ... لعُلا المختار ما ضاء قَبَسْ

ولآلٍ ولصحبٍ كلما ... غَرَّد القُمْرِيُّ أو ظبيٌ كَنَسْ

فأجابه سيدي الإمام الوالد رحمه الله تعالىٰ بقوله:

هل حبيب زارني وقت الغَلَسْ ... أم بشيرُ الأنس وافى من طَفَسْ

أم كتابٌ جاءني من فاضلٍ ... زَرَعَ الحب بقلبي وغَرَسْ

مفتي حوران الهمام الطَّيبي ... مفرد في العصر محيي ما اندرسْ

فهـو مشـكاة المصـابيح التـي ... كل من يبغي الهـدى منهـا اقتبسْ

منهــل الـــبرِّ صـــفا مـــورده ... وابــل الجـود إذا القطـر احتبسْ

قـــد أتانـــا مـــن لآلي نثـــره ... نظـم درٍّ مـــن معانيـــه انـبجسْ

وبـــه ذكَّرنـــا وقتـــاً مضىٰ ... معـــه مـــا شـــابه قـــط دنـــسْ

وبشـيخ السـعد نلنـا زمنـا ... مـن صـفاء الـدهر حقـاً مختلسْ

بـــالأديبين وبالبيـــك حـــلا ... وأمــين الــود مَــنْ لطفــاً رأسْ

فُهُـمُ الـنَّجم وأنـتم بـدرهم ... كيـف لا والفضـل مـنكم يُلـتمسْ

وجمـال الـدِّين مـع والـده ... نـاظم الأبيات دومـاً في هجسْ

باشـتياق لسـنا طلعـتكم ... لم نذق من بعـدكم طيب النعسْ

فعسـىٰ الـدهر يرينـا وجهكـم ... نجمـع الشـمل نهـاراً بغلـسْ

هـاك يـا مفتـي لـوا حورانـنـا ... رَمَـلاً يرفـل مـن غـير شرسْ

جاء يسـعى خجـلاً يبغـي الرضـا ... منكم والصفح عـن هـذا الـنفسْ

ولم يزل المترجم على حالته إلى أن عراه داء استطلاق البطن مدة وتوفي به في (٢٨) شوال سنة (١٣١٧) ودفن في مسكنه بطفس، رحمه الله تعالىٰ.

وقال مخاطباً أحد الحوارنة:

خـف إلـه العـرش واتبع أمـره ... واجتنب مـا قـد نهىٰ عزَّ وَجَلْ

آن أن تـرفض جهـلاً موبقـاً ... في بـلاد أنـت فيهـا ذو أمَـلْ

عـابهم في الإرث حِرْمَـانُ النِّسَـا والتهـام المهـرمن أقـوى الزّلـلْ

لـيس يغني عنـك مـا اعتيـد بهـا مـن أمـور خالفـت خـير الملـلْ

عـابهم في الإرث حِرْمَـانُ النِّسَـا والتهام المهر مـن أقـوى الزّلـلْ

بـات شرع المصـطفى مـا بيـنهم سـاقطاً عنـد التـداعي بالعمـلْ

دأبهـم حـب السـوادي بيـنهم بـدَّلوا الأنثـىٰ بـأنثىٰ يـا بطـلْ

ألفـوا ظلـم النسـا حتـىٰ فشـا بيـنهم تـزويجهنَّ للسـفلْ

لا تـراهم يشـفقوا إن ظَلَمـوا وتـرىٰ الـزوج إذا هـاج قتـلْ

عندهم ظلـم النسـا مستحسن لا تـرى يشـفع فـيهم مـن عقـلْ

زيـن الشـيطان للكـل الـردىٰ فارتـدى بالجهـل في كـل عمـلْ

* * *

(١٨)

الشيخ عبد المجيد ابن شيخنا محمد بن محمد بن عبد الله الخاني الدمشقي الشافعي النقشبندي[1].

أديب كبير، وبليغ شهير، انفرد بين أقرانه بجودة الصناعتين جودة فاقت الوصف وذوق للدقائق الأدبية بلغ الغاية، ورقة حاشية ولطف سمت إليه النهاية.

ولد في صفر (١٢٦٣) بدمشق ونشأ في حجر جده الجليل، وبعد أن مهر في القراءة والكتابة حضر بعض دروس جده من نحو وفقه وحديث، ولقنه ذكر السادة النقشبندية، ولما ترعرع قرأ على العلامة الشيخ محمد الطنطاوي، وسمع منه بحضور الأمير عبد القادر الجزائري ثم الدمشقي أكثر «الفتوحات المكية» وذلك في دار الأمير المنوه به، كما سمع من الأمير المشار إليه أكثر «صحيح البخاري» في مدرسة دار الحديث بدمشق، وحضر عند والده شيخنا أكثر كتب الحديث الستة، وأقرأ في حياة أبيه في داره طرفاً من فنّ العربية، وكذلك في حجرة له في جامع المرادية المعروف بالسويقة طرفاً من الفقه وغيره. وكان يخطب به ويؤم به في التراويح. وعنه في إمامة بقية الأوقات وكيل، وانفرد بفن الأدب، وأخذ الشهرة الوحيدة فيه، وكان إذا سمع بيتاً بليغاً أو نثراً فائقاً

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٤/ ١٥٠) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٤٨) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١٩٩) و«جامع كرامات الولياء» (١/ ٥) وفيه وفاته سنة ١٣١٧هـ و«أعلام الأدب والفن» (٢/ ١١٦) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ١٨١) و«معالم وأعلام» (٣٦٦) و«الأعلام الشرقية» (٢/ ١٣٨).

يتمايل طرباً ويهتز ذوقاً ويغلب على لفظه حينئذ كلمة مدهش، حتى إنه لكثرة ما كان يستعملها صار يتوهم أنه له كتاباً اسمه «المدهش» وكان له في عنفوان الشباب مع سيدي الوالد قُدِّس سره المودة الفريدة. وكان يحيي معه الليالي الطويلة إلى الصباح، ويتجاذبان أطراف اللطائف الأدبية، وكنت آنس كثيراً بزيارته لنا، وكان كلما نظم قصيدة عرضها على سيدي الوالد وأسمعه إيّاها. ويتحاوران في أثناء ذلك ويتناقشان ألطف محاورة ومناقشة. وكان إذا ابتهج بقصيدة يسبق لسانه إلى الدعاء على نظمها يدل الدعاء له غيرة أدبية وذائقة عربيّة، وراجت صناعته أيام الأمير عبد القادر[1] فعمل له المقامات وامتدحه بالقصائد العاليات، وكان الأمير يجيزه الجوائز الوافرات، وبسببه أقبل على الأدب كلياً وعشق مطالعة «ريحانة الألبا» و«نفح الطيب» وقال لي مرة: كنت أنام على «نفح الطيب» وصاحب الأدباء، وعاشرهم وراسل النائين منهم، وانعقدت الصحبة مراسلة بينه وبين الفاضل الكبير عبد الله فكري باشا المصري، ولما رحل إلى دمشق الباشا المذكور حَلَّ ضيفاً في دار أبي المترجم، وعمل الباشا «رحلة» ونوه بالمترجم في طليعة «رحلته» وكان يكاتب الأدباء المشتهرين في البلاد. ولما وفد الشيخ محمد الكاملي المغربي، الأديب الشهير، صاحبه المترجم، و[كان] يتردد إليه كثيراً، إذ كان نزيل الأمير المنوه به، والجميع دائماً في ظله، وسافر سنة (١٢٩٣) إلى الآستانة، ولم يُطِلْ المقام بها. وكان يُخالط الولاة والكبراء ورؤساء المجالس ويمدح الأعيان تحبباً وتودداً. ولما قدم لدمشق توفيق أفندي قاضياً أحب والدَ المترجَمِ وتردد إليه كثيراً لأنه كان يظهر أنه

(١) يعني الأمير عبد القادر الجزائري.

نقشبندي، فجعل القاضي المذكور المترجم نائباً في محكمة الميدان، وبعد فصل القاضي المذكور عن دمشق استقال المترجم من نيابة المحكمة المذكورة، وكان عائشاً[1] هو وعائلته في كنف والده، ويقوم بإدارة شؤون والده ومهماته، وفي سنة (١٣١٤) ذهب إلى الآستانة وسعى بواسطة بعض مقدميها بمرتب شهري لوالده قدره ثلاثمائة قرش يسمى معاش قيد حياة، زيادة على معاش مشيخة النقشبندية في السويقة، وهو نحو ألف قرش. وكان أخذ مضبطة من دمشق وصدق عليها وجهاء الشام بحاجته لذلك، فوجه إلى والده المعاش المذكور، وسعى أيضاً هناك لأحد أولاده بالقضاء فردّ ابنه إلى الشام ليجري امتحانه بها، فحضرها ابنه وأخذ شهادة الامتحان من المحكمة بإعانة صديقهم نائب المحكمة صالح أفندي قطنا، وعاد إلى الآستانة وأبوه المترجم ينتظره. فنال من باب المشيخة ابنه نيابة في بعض القرى، ونال المترجم بواسطة من ذكرنا رتبة أزمير المجردة، ثم عاد إلى دمشق بعد تغيبه عنها نحو عام، ثم لم يلبث أن توفي والده شيخنا، فتصدر في مكانه في مشيخة الطريقة النقشبندية بجامع السويقة، وفي قراءة درس البخاري، فدعا المترجم لحضور أول يوم من درسه مفتي الحنفية بالشام صالح أفندي قطنا، وكثيراً من الفضلاء، وشرع في إكمال «البخاري» من الموضع الذي وقف عنده والده، وأذن المترجم لأخيه الصغير بعد وفاة أبيه أن يذهب للآستانة لتحصيل معاشه الأخير، فسافر فما نجح، وكان وُجّهَ ذلك المعاش لغيره وبقي معاش مشيخة السويقة، فقدم المترجم لجانب الولاية مضبطة بطلبه وتوجيه المشيخة فوجهها عليه

---

(١) يعني مقيماً.

القاضي، وصدق عليها مجلس الإدارة، وأُرسلت أوراقه إلى الآستانة، فلم يفجأه وهو في هذا الاهتمام إلا وعمه الشيخ أحمد الخاني ينازعه المشيخة المذكورة وكان نائباً في بني صعب، فقدم دمشق وذهب إلى الوالي وقال له: أنا أَسَنُّ منه، وابن صاحب الوظيفة الأصلية، وأرشد منه، ويشهد لي ملأ من المريدين وغيرهم، فقال له الوالي: لقد تأخرت، ولو جئت قبل معاملتها لكان لنا معك نظر أما الآن فإن الأوراق في الآستانة فاتبعها هناك، فأرسل عمه أكبر أولاده الشيخ ياسين فتتبعها هناك، وروجع قيود البراءة الأولىٰ من نظارة الأوقاف فوجد أنها تقضي بتوجيه الوظيفة للأقرب فالأقرب من صاحبها الأول، فأعيدت أوراقه للشام لتجري عليها المعاملة، وقام في الدفاع عن المترجم مفتي الحنفية بدمشق صالح أفندي قطنا، لكون المفتي أخا صهر المترجم على شقيقته وصاحب والده، وحَصَلَ اختباط بين المترجم وعمه شديد، وكان يذهب المترجم إلى جامع السويقة مباكراً فيقيم الختم فيأتي عمه للميعاد ليقيمه فيجد المريدين منفضين، وكاد يحصل بينهما ما لا يُحمد، ثم إن عمه اعتراه مرض في إحدىٰ عينيه فقوي عليه بعد ذلك ولم يزل يشتد معه، وانقلب عليه بمرض آخر حتى توفي إلى رحمة الله تعالى في ذي الحجة سنة (١٣١٧) بدمشق ودفن بتربة الشيخ خالد قدس سره، فظن المترجم أن الأمر صفا له والمشيخة تمت له، فلم يفجأه إلا وعمه الشيخ عبد الله ينازعه المشيخة، وكان حرَّشه على طلبها الشيخ أسعد الصاحب لعداوة بينه وبين المترجم، سنأتي عليها، وللشيخ أسعد وقتئذ تداخل كبير وتردد وفير على والي الشام فما دونه، وكان لا يتأمل من عمه المذكور هذا الطلب أصلاً، كما أنه ليس من خلفاء أبيه في الطريقة على قاعدتهم خصوصاً مع صغر سِنِّ عمه ومزية المترجم. نعم لعمه السابق

التقدم بالسن والقبول لدى المريدين، والمحبة له أكثر منه المترجم، وكان الذي قوى عمه الشيخ عبد الله على ذلك الشيخ أسعد المذكور، وساعده على مضبطة جددها له، فختمها بعض الوجهاء والعلماء، في لياقته واستقامته، وعارضه المترجم بمضبطة أخرىٰ فما نجحت. وروعي في هذه الوظيفة شرط التوجيه الأصلي، فاعترض المترجم بعدم لياقة عمه المذكور وأنه ليس من الخلفاء، فأعانه الشيخ أسعد وأعطاه صك الخلافة منه وأنه خليفة له، ورد أمره إلى الامتحان عند القاضي، فامتحن في بعض شؤون الطريق وبعض مسائل من الفقه فأجاب عنها، فصدق له باللياقة، ووجه القاضي المشيخة عليه وصدق عليها مجلس الولاية، وأرسلت إلى الآستانة، وخرجت البراءة السلطانية عليها. ولما تحقق المترجم انسلاخ وظيفة المشيخة عنه سافر إلى الآستانة غرة رمضان سنة (١٣١٨) لطلب معاش يكون عوضاً عما فاته، فاستحصل معاشاً قدره ثلاثمائة قرش، فصدرت الإرادة السلطانية بذلك، إلا أنه وقع في الأمر العالي تلقيب المترجم بحفيد الشيخ خالد، فكتبت جريدة المعلومات صورة صدور الأمر العالي للمترجم حفيد الشيخ خالد، فخشي المترجم أن يرمىٰ لدىٰ الناس بأنه ما توصل لهذا المعاش إلا بهذا الإفتراء ودعوى أنه حفيد الشيخ خالد، فكتب المترجم كتاباً إلى صديقنا الكاتب البارع أديب بك نظمي محرر «جريدة الشام» يقول له: أرجو منكم إصلاح الغلط الذي وقع في جريدة المعلومات من تلقيبنا بحفيد الشيخ خالد، وأن تنبهوا عليه لكي يعلم، فأشهره صديقنا في جريدته تحت عنوان إصلاح غلط، ثم لما وصل الأمر إلى ناظر المالية توقف عن إمضائه واعتذر بأن الأمر إنما هو لحفيد الشيخ خالد والمترجم ليس بحفيده، فجد هناك واجتهد في تمضيته بدعوىٰ أن الأتراك ربما لقبوا ولد الصهر حفيداً. ولما كان

والده تزوج إحدىٰ بنات الشيخ خالد وتوفيت عنده فصلح أن يسمىٰ حفيداً للشيخ خالد لأنه ابن صهره، فطلب حينئذٍ ناظر المالية بشهادة على حقية أن والده كان صهر الشيخ خالد فقدم مضبطة شهد له فيها بعض الشاميين هناك، فمشّىٰ حينئذٍ ناظر المالية الأمر وأعطي براءة المعاش، فلم يكد يتم فرحه مما نال حتى دعاه الداعي فيها فلباه وورد خبر وفاته في أواخر جمادىٰ الثانية سنة (١٣١٩) وأنه مرض بالحمىٰ نحو أسبوع وصُلّيَ عليه صلاة الغائب بالجامع الأموي وجامع السنانية، وكان لمنعاه رَنَّةُ أسفٍ لما جُبِلَ عليه من اللطف والإيناس ورقة الحاشية وشهرة الأدب، ولا غرو أن بَكَتْهُ عيون المعارف، فقد كان زهرة الأدباء وريحانة الألبَّاء، وكان قد جمع منظوماته في ديوان سماه «جهد المُقِلّ» ولما أراد انتخابه دعاني لداره وشاورني في ترتيبه وما يثبته وما ينفيه، فنظراً لوحدة الحال بيننا أشرت عليه، فوافقني في البعض وعزم علىٰ ذلك، وجمعه ثانية وسماه «وجه الحَلّ من جهد المقلّ» وجمع المترجم كتاباً في طبقات مشاهير النقشبندية، وختمها بترجمة جده وأبيه وسماه «الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية» وكان هذا الاسم تاريخ العام الذي به كمل تأليفه سنة (١٣٠٦) ثم أهداه المترجم إلىٰ طلعة باشا أحد كبراء مصر، وكتب له علىٰ عنوان الكتاب:

حــدائق الـورد في الأكـمام دانيـة	قطوفها من جنـان الشـام للجـاني
أكف أوراقها نحو السـما بسـطت	تــدعو لأول ممــدوح بــلا ثــاني
ذو الفضل أحمد باشا طلعت الـوزرا	لازال مظهــر معــروف وعرفــانِ
أهدي له دوحهـا المخضـود منشـئها	داعيهِ عبد المجيد الخالـدي الخـاني

فأمر الباشا بطبعها على نفقته فطبعت في مصر أيضاً سنة (١٣٠٨) وقد تأنق المترجم عليه الرحمة في تأليف هذا الكتاب وأبدع في ترصيع تراجمه وترتيبه بما يبهج الألباب وتعالىٰ في الأوصاف والألقاب علىٰ طريقة بلغاء الكُتَّاب، ولما اطلع على هذا الكتاب الشيخ أسعد ابن الشيخ محمود الصاحب شقيق حضرة الشيخ خالد قدس سره ولم ير فيه تعرضاً لترجمة والده لا في خلفاء أخيه ولا في موضع آخر، أكبر ذلك وبدأ ينقب على المترجم وينكر خلافة جده من عمه الشيخ خالد ثم استعان بمن ألّف له كتاباً في ترجمة والده الصاحب وعرض في الخلال للحدائق وأعرض عن زيارة شيخنا والد المترجم بعدما كانا يتزاوران وسعىٰ بعض الفضلاء في أن يصلح بين شيخنا والشيخ أسعد المذكور فلم يقبل شيخنا، وقال: لا فائدة في ذلك، ولم يزالا مصرين على الهجران حتى فرق بينهما الحِمَام، عفا المولى عن الجميع إنه القريب السميع.

ومن بدائع منظوماته قوله مطلع قصيدة في مدح الأمير الخطير السيد عبد القادر الحسني الجزائري:

خليليَّ ما للناس عندي وماليا	إذا في الهوى أنفقت عمري وماليا
وقالوا الهوى صعب المراس وأرجفوا	بأني على السلوان ألقى المراسيا
فيا ليت قومي يعلمون بخلّتي	وإن قدروا فليصحبوا القلب خاليا
سلا جيرة الوادي المقدس هل سلا	فؤادي أو أمسى من الشوق خاليا
معاذ الهوى أن يخطرن بخاطري	سلوٌّ أو الإرجاف يرجف باليا
ألم يأن لي أن أقدر الحب قدره	وأعلم فيه ما عليَّ وماليا

وكيف ولي في دولة الحب منصبٌ　　هو الصدر والعُشّاق طَرّاً حواليا

ولو أن قيساً في زمـــان صبابتي　　عـلى عشـقه لم يـــرض إلا اتباعيا

وقد جبلت من نشوة الحب نشأتي　　فأنى ترى يا صاح نشوان صـاحيا

إذا كان سكري عين صحوي بحبهم　　وذلي لهـم عـزي ومحـوي بقائيـا

أأسلوا ونـفسي للمعـالي طموحـة　　ومن ذا الذي يعطي فبـابي المعاليـا

وآية حبي للعُـلا أن يـرى الـورىٰ　　بمـــدح أمـير العـارفين افتخاريـا

أمـير وإني للملــوك سـلوك مـا　　تقدس من أخلاقـه وهـي مـا هيـا

جـــلال ولا كـبر وعلـم ولا خفـا　　وسيف ولا حيف وتقوىً ولا ريَـا

وتتمتها في «الحدائق» وقوله مطلع غيرها:

روى النسيم عـن الأرواح إذ وصـفا　　شـــمائل الـود في أرواحـــه وصـفا

عن الجـداول مـا بـين الخمائـل في　　وقت الأصائل تروي السهل والشـعفا

عن السحائب تبكي في الرُّبا سـحراً　　فيضحك الزهر في الأكمام منحرفـا

عن الرياض زهت أنوارها وجلت　　أثمارهـــا فزكـــت طيبـــا ومقتطفـــا

عن الضُّحى حين عاطته البلابـل في　　كأس من الورد صهباء الندى أنفـا

عن الهزار رخـيم الصـوت يرفعـه　　إن الأمير هو الغوث الذي وصـفا

وتتمتها في «الحدائق» أيضاً ومن غزلياته وحسن اقتباساته قوله:

أمــا وليــالٍ مــن ذوائبهــا عشر ... وما نسخت بالفرق من صورة الفجر

ومــا كتبت بالمسك في وجناتها ... فحالاتها تختال بالشفع والـوتر

وسين جبين فوق نـون حواجب ... عـلى قمـر والليـل فيـه إذا يسر

وما نفثت بالسحر مـن لحظاتها ... وذا قسم لا ريب فيه لـذي حجر

إذا كان مـن أهـواه عنـي راضيا ... فلا رضيت عني الأنام [إلى] الحشر

ومن موشحاته:

سـلَّم الله غـزالاً سـلَّما ... بعيـون كُحِّلَـتْ بـالنعس

وفـم أتقنـه الله فـما ... فيه عيب غير طيب اللعس

ربـرب رُبِّـيَ في وادي زرود ... مـا لـوى الجيـد إلى مـاء اللـوا

لـو رآه البـدر يهـوي للسجود ... وهـو لا يعلم مـا معنى الهـوىٰ

ذو محيـا خالُـه فـوق الخـدود ... ملـك الزّنج[1] على العرش استوىٰ

كـل مـن علمه منع الكـما ... جاهـل قـدر حيـاة الأنفـس

مالـه مـن مشبه نفسي ومـا ... لي فـدا ذاك الرُّضـاب الأنفـس

---

(١) كذا في الأصل.

وأطلعه بعض الأفاضل على رحلة أدبية فقرظها بقوله:

راجعتهـــا وأنـــا لهـــا متشـــوق	ورجعتهـا وأنـــا لهـا متشـــوف
لا يُثْنَـــيَنَّ عـــلى مؤلفهـــا بهـــا	لكـن بــه يثنــي عليهــا المنصــف
حــبَرٌ إذا أجــرى يــراع براعــة	سجدت له خلف المعاني الأحرفُ
طــارت إلى العليــا بلابــل فكــره	فغدت على عـرش المـرام ترفـرف
وأتــت مطوقـــة بطـوق بلاغــة	يسمو على العقـد الفريـد ويشرف
لا زال طرف سعوده يجري بـــا	يرجو وطرف كـما لـه لا يطـرف



* * *

(١٩)

السيد مرتضى بن السيد محمد السعيد بن السيد محيي الدين الحسني الجزائري ثم الشامي[1] شيخ مشايخ الطريقة القادرية، المرشد الكامل والعالم الأديب الفاضل.

ولد، رحمه الله، سنة (١٢٤٥) (كما أخبرني من لفظه) في القيطنة وهي قرية اختطها جده الفاضل الجليل السيد المصطفى في إيالة وهران من أعمال الجزائر، وتربى في حجر والده إلى أن بلغ سن التمييز، فشرع في حفظ الكتاب العزيز، ثم تلقى الفنون على والده العلامة وغيره من الفضلاء، فقرأ النحو، والتوحيد، والأصول، والوضع، والمعاني، والبيان، والتفسير، على والده، وقرأ النحو أيضاً على عمه السيد المصطفى بن محيي الدين. وقرأ الحديث «البخاري» و«مسلماً» على عمه الأمير السيد عبد القادر قدس سره، ورسالة ابن أبي زيد عليه أيضاً، وقرأ «الشمسية» أيضاً على ابن عمة والده السيد مصطفى ابن التّهامي. وقرأ «شرح الكبرى» للإمام السنوسي على السيد الحبيب ابن المصطفى ابن عمة والده، فبرع وحصّل ملكة جيدة، وحضر مع عمه الأمير عبد القادر قدس سره من مواقعه الشهيرة في المغرب ثلاث وقائع كانت بين الأمير وسلطان مراكش، ثم حُمل مع جملة العائلة الكريمة إلى فرنسا، ثم صار نابليون رئيس جمهورية فرنسا، واستولى على رؤسائها تمام الاستيلاء، استحسن أن يمتن على الأمير ويوفي له بالعهد الذي كان عاهدته فرنسا يوم تسليمه نفسه إليهم، فاقتضى له كمال السياسة أن

---

(١) ترجمته في «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ١٨٩) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٩٢).

يفرق بين الأمير وبين إخوته ويبعثهم إلى الجزائر ويجعلهم كالمراهين عند تسريحه، ثم ينظر ماذا تتكلم به فرنسا في أنديتها ومحافلها. ثم بعد استقرارهم في البلدة المذكورة بثلاثة أشهر جاء هو إلى الأمير وأعطاه تسريحه بيده، وبعد أن سرَّحه بأيام قلائل اتفقت على جعله ملكاً عليها، وكان المترجم مع والده وأعمامه لما سرحوا إلى مدينة عنَّابة من أعمال الجزائر أقاموا بها نحواً من خمس سنين، ثم أذنت لهم الدولة المذكورة باللحوق بالأمير إلى الشام، فحضروا دمشق سنة (١٢٧٣) فقرأ المترجم بدمشق على فضلائها أيضاً، منهم شيخنا الشيخ سليم العطار، حضره في مختصر السعد، وكذلك الشيخ محيي الدين الإدلبي، حضره فيه أيضاً. وأخبرني من لفظه أنه استجاز من سيدي الجد، قدس سره، وأنه كان له حضور عنده في بعض دروسه، ثم في سنة (١٢٧٧) بعثه الأمير وأصحبه جملة مكاتيب للأعيان بدار السعادة لكي تعيّن لجميع أقارب الأمير مرتباً، فأجابته لذلك، وعيّنت لجميع إخوة الأمير وأقاربه المرتبات الكافية، ومنها للمترجَم ألفاً وخمسمائة قرش شهرياً. وفي سنة (١٢٨١) لحق بالأمير بعد سنة من سفره للحجاز حتى أدى الفريضة، وأطلعني على إجازة من السيد عبد الغني الدهلوي ثم المدني، وكان سمع منه في المدينة المنورة شيئاً من «سنن الترمذي» فأجاز له ذلك وغيره إجازة عامة، واستجاز أيضاً من الشيخ عبد الغني الميداني الدمشقي، بعد أن قرأ عليه «الشفا» وأقام المترجم بدمشق مدة، وقطن ناحية باب السريجة، ودرس بجامع العنّابة هناك، وبنيت له في الجامع المذكور حجرة مرتفعة جنب مأذنته، فأقام بها يرشد ويعظ. وتلقى عنه الطريقة القادرية زمرة من أهالي تلك الناحية، وأقام الذكر ثمة بعد العشاء، واجتمع لديه مريدون حَسُنَ اعتقادهم فيه جداً. ثم تَحَسَّنَ لديه الإقامة في بيروت

لموافقة هوائها له، فارتحل من دمشق إليها في سنة (١٢٩٤) ومع ذلك كان يتردد ما بينها وبين دمشق، غير أن معظم إقامته كانت في الثغر، وغالب مجيئه لدمشق أواخر فصل الربيع إلى أواخر الصيف، هرباً من شدة الحر وقتئذ في بيروت، وتصدى أول مَقْدَمِهِ إلى بيروت إلى الوعظ والتدريس العام في كتب القوم، فكان يبدي من باهر الإرشاد وفصاحة اللهجة ما يدهش الألباب، ثم اقتصر على الوعظ والإرشاد في بيته مراعاة لصحته، وكان يخبر عن ضرب لطيف من التعليم، كان والده يمرنه عليه أيام طلبه للعلم، وذلك أنه كان يتلقى عن والده الدرس ثم يأمره بمطالعته وحفظه وإلقائه عليه في اليوم الثاني من سماعه عليه، فكان يلقيه كما سمعه لتمام محفوظيته، ويجعله والده كأنه شيخه وهو تلميذه، وكان تلقى الذكر عن عمه الأمير قدس سره، وأجاز له بالأوراد القادرية، وتلقى أيضاً عن السيد سلمان أفندي نقيب السادة الأشراف في بغداد. ومن سلالة القطب الجليل السيد عبد القادر الجيلاني، قدس سره، وذلك عند زيارته لهذه البلاد، وقد كان المترجم، رحمه الله، جليل القدر، مهاباً، تكسو مجلسه الهيبة والوقار، كريم الطبع، حسن المسامرة، لطيف المعاشرة، ذا فكرة وقَّادة وحافظة عجيبة، مشهوراً ببلاغة الإنشاء وجودة النظم، وكان غيوراً على المنكرات والبدع[1]، سليط اللسان على المبتدعين، ينهج في أحواله منهج السلف ويدعو إلى ذلك، وكان لا يرضى بأدنى بدعة مخالفة لما يعهده من السيرة الحميدة، ولذلك كان كثير الاحتجاب، لا يخرج إلا لبعض إخوانه أو لمنتزه يخلو به معهم، فلا يتردد إلى الكبراء ولا يزورهم ولا يجيب دعوتهم وإن

---

(١) أي كان حريصاً على كشف حالها.

كان يجلّهم إذا صادف وجودهم في مجلس، ولم يحصل له الإجلال والشهرة الكبرى إلا في بيروت، حتى صار عند أهلها أول جليل بها، ولا يزوره أحد إلا ويذكر له ما يبلغه من المنكرات، فيستغرق مجلسه في ذمّها ولعن فاعلها وتقبيحهم والدعاء عليهم، وتأخذه الحدة العمرية جداً، ويظهر من التألم ما لا مزيد عليه. واتفق أن أحد الوجهاء في بيروت صادفه في الطريق فأقبل عليه وقبّل يده، وكان معه ابنه وعلى رأسه قبعة تشبه القبعة الفرنجية، فقال له: من هذا؟ فقال له: ابني، فقال له : ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾ الله أكبر، وصار يكرر عليه ذلك، فطفق يعتذر له ولا يزيده إلا إنكاراً. وكان ينكر عليَّ إدخال الساعات إلى الجوامع ويقول: إنها في دقها تشبه الناقوس، و أنكر مرة على إمام جامع إقراره على امرأة كانت تقعد عند بابه فتحفظ نعال المصلين وأمر بإخراجها. وله في النظر إلى دقائق الأحوال فكر عجيب، وربما يمرض من كثرة التألم على بعض المنكرات. ولما قدم دمشق مرة وشاهد في مرجتها ما استحدث من القهاوي على جانب بردى تألم وقال: متى كانت دمشق في هذا الحال، وصار يسترجع ويحوقل، وكان يسمي بيروت دار الكافرين ودمشق دار الفاسقين، ولما رحلت إلى بيروت صحبة عمه صفيّنا العلامة المفضال السيد أحمد الحسني سنة (١٣١٥) استقبلنا المترجم إلى محطة الحدث وأعدَّ لنا أنفس عجلة[1]، وعمل لنا دعوة عظيمة، وكنت أشاهد من سيرته وغيرته وهديه أحوالاً عجيبة، وكان يضرب الأمثال بهدي سيدي الجد، ويترحم عليه كثيراً، وكان يذكر لإخوانه أنه لم ير من طبقة سيدي الجد مثله، بل إني ما رأيته أثنى على أحد

(١) أي واسطة نقل.

كثنائه عليه، وقال: كذا فليكن العالم ورعاً وتعففاً وانزواءً وعدم مزاحمة على مطلب دنيوي وصلاحاً وشدة إتباع، يعني ذلك ما كان عليه سيدي الجد، وكان يروي له مناقب جَمَّة، ورآه ليلة وفاة الجد برؤيا غريبة كان دائماً يقصّها ويعبّرها بعلو مقامه. ولما أخبرني في بيروت أنه أخذ عن سيدي الجد أحببت أن يكتب لي إجازة فامتنع تواضعاً، ثم ألححت فأبدع في تلك الإجازة. وأطلعته في إحدى رحلاته إلى دمشق على كتابي «الجواب السَّنِي» فقرظه تقريظاً بديعاً.

وأنشدني مرة:

ولقد سألت عن الكرامِ فقيـل لي	إن الكِـرَامَ رهـائن الأرمـاسِ
ذهب الأكارم جودهم ووجودهم	وحـديثهم إلا مـن القِرْطَـاسِ

وزاره مرة أحد الشيوخ الأجلاء فلم يجده فوضع له بطاقة الزيارة المتداولة الآن، فلما جاء المترجم ورآها أنكر ذلك، وقال: سُنَّةُ الفِرَنج وحوقل، فذكرت ذلك لما بلغني إنكاره لزائره، فقال: عجباً وهل هذه البطاقة إلا مختصر كتاب يعرِّفه بمن زاره. وبلغه مرة ذهاب بعض الفضلاء ليبارك لكبير في تولية منصب رياسة البلدية في بيروت فأنكر عليه ذهابه، وأكبر ذلك، وذكر مثالب ذاك المنصب ومضرَّاته الدينية، ولم يدخل الجامع الأموي بعد عمارته الحديثة إثر احتراقه[1] زعماً أنه عُمِّرَ من مال فيه شائبة، سيما لما بلغه

(١) وذلك سنة (١٣١١)هـ ولتمام الفائدة راجع كتاب «حريق الجامع الأموي وبناؤه» لصديقي الفاضل الدكتور محمد مطيع الحافظ، طبع مكتبة دار العروبة بالكويت.

زخرفة محرابه ومنبره. ولما حكي له أن الجامع الأموي أريد في أيام الشيخ عبد الله الحلبي تجديد تبليطه وأنه عمل اكتتاباً من الأغنياء. ثم جاءه الشيخ حسن الشَّطّي الحنبلي وقال للشيخ عبد الله: بلغني عزمكم على تبليطه من أموال الناس فأبقوا للحنابلة في الجامع رقعة غير مبلطةٌ ثم توقف العمل عن تبليطه. فلما ذكرت هذه القصة للمترجم صار يقول: حشرني الله في زمرة الشطي. ولما سعى له ابن عمه أحد يا وري الحضرة السلطانية الأمير محمد باشا ابن الأمير السيد عبد القادر بتوجيه رتبة أزمير المجردة عليه وعلى أخيه وابن عمه السيد محمد أبي طالب، قام المترجم وقعد وأبرق وأرعد، وقال: ما لي ولمثل هذه الرُّتب التي لا جدوى لها، وأغلق بابه في بيروت دون المهنئين ولم يفتح لأحد، وتهيب منه كُتَّاب الجرائد في بيروت أن يدرجوا نبأ هذا التوجيه إلا بإذنه فلم يأذن لهم إلا بعد إلحاح كثير منهم، وله غرائب في معنى ما ذكرنا، وكان يقوم لزائره إلى باب المخدع ويستقبله استقبالاً مدهشاً ويضعه في أرفع مكان ويودعه إلى خارج باب الدار، ولا يُمَكِّنُ أحداً من تقبيل يده، وإذا دخل أحد الأكابر مكاناً وهو فيه، فإن لم يمكنه الصدع بالحق فيه يتجلل بالسكوت كما شاهدته في بيروت، وله نظم ونثر لطيفان[1] إلا أن نثره أجود.

ومن شعره قوله وقد أشرف من قصره ليلاً على بيروت:

أنظــر إلى بــيروت في أضــوائها	تحكــي ســماء الزهــر في لألائهــا
إن جئتهــا لــيلاً وجلــت بنــاظر	خلــت النجــوم تجــول في أنحائهــا
يــا لائمــي في حبهــا مهــلاً فــلا	تعجــل فــإن اللــوم مــن أعــدائها

---

(١) في الأصل: «لطيفين» والصواب ما أثبتناه.

ولم يزل قدوة للصالحين، وبهجة لمجالس المتقين، سالكاً بمريديه سبيل المكرمات مطهراً قلوبهم من أدران المنكرات، إلى أن توفي ليلة الأربعاء قبيل العشاء لأحد عشر يوماً خلت من ذي القعدة سنة ١٣١٩ على إثر داء عياء، حارت فيه حيل الأطباء، وما نجعت فيه وسائل الشفاء، وقبيل ظهر الأربعاء احتفل في بيروت بمشهده بجمع غفير وصُلي عليه في الجامع العمري الكبير ودفن في تربة الباشورة ورثاه أدباء بيروت بقصائد بديعة، سقاه الله غيث الرحمة والرضوان، وجعل مسكنه في غرف الجنان.

* * *



(٢٠)

السيد أحمد بن السيد محي الدين بن المصطفى بن محمد بن المختار الحسني الجزائري ثم الدمشقي المالكي الأثري[1] صفينا وصديقنا، إمام لا يدرك شأوه، ولا يسبق في المعالي خطوه، ولا يبارى في مضمار المعارف، ولا يجارى في حلبة اللطائف، فهو السيد الذي طلع في جبهة العصر غرة، والكوكب الغني عن الوصف بالشهرة.

ولد، رحمه الله تعالى، في شعبان سنة (١٢٤٩) في القيطنة من ضواحي وهران، وتربى في حجر أخيه العلامة السيد محمد السعيد، السالفة ترجمته[2]، حيث توفي والده قبل فطامه. ولما بلغ سن التمييز شرع في حفظ القرآن الكريم فحفظه عن ظهر قلب وهو دون البلوغ، ثم اشتغل بطلب العلم، فقرأ على أخيه المنوّه به، وقرأ على ابنه السيد مرتضى، المتقدم ذكره[3]، طرفاً من النحو والوضع، وقرأ التوحيد على أخيه العارف الجليل الأمير السيد عبد القادر قُدِّس سرّه، والفقه المالكي على الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي، ولما اشتبك القتال بين أخيه الأمير عبد القادر وفرنسا، كان المترجم في سن

---

(١) ترجمته في «حلية البشر» (١/ ٣٠٤) و«الأعلام» (١/ ٢٥٥) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٠٤) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ١٩٣) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٢٦) و«أعيان دمشق» (٤٠٣) و«الأعلام الشرقية» (١/ ٢٦١ و٢٧٦ و٢/ ٨٥٥) و«تعريف الخلف برجال السلف» (٢/ ٩٨) و«معجم المؤلفين» (١/ ٣٠٥) و«القاموس الإسلامي» (١/ ٦٠٤) و«تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (١٠/ ١٥١) و«العلماء المغاربة» (٥٣).

(٢) يعني في طبقات مشاهير القرن الثالث عشر الهجري من كتاب المؤلف «تعطير المشام» وهو مخطوط.

(٣) وقد تقدمت ترجمته برقم (١٩).

المراهقة، فلهذا لم يحضر وقائعه المشهورة، ثم استصحبه أخوه في جملة العائلة الكريمة إلى فرنسا. ولما نقل الأمير إلى بروسا سار المترجم مع إخوته إلى مدينة عنّابة من أعمال الجزائر وتزوج هناك وأقام هو وإخوته بها نحو خمس سنين، ورتبت لهم الدولة الفرنساوية المرتبات الكافية، ثم تراءى لأكبر إخوته السيد محمد السعيد أن يسير إلى مدينة تونس ويستوطنها مع إخوته، ورأى المقام بها أجود من عنّابة لوفرة علمائها وفضلائها، فكاتب أحد أمرائها يستشيره فرحب به ووعده أن يقوم بجليل شأنه، فعرض أمر الرحلة على وكيل الفرنساويين في عنّابة فأجيب بأنه لا يسرّح ما لم يسلّم بمرتبه، فأجاب بتسلمه، فلما سُلِّم معاشه أصالة عن نفسه ووكالة عن إخوته تسليماً رسمياً، هيأت فرنسا وابوراً[1] بحرياً ونقلته مع إخوته وفيهم المترجم من عنّابة إلى الشام، وألحقتهم بأخيهم الأمير السيد عبد القادر، ورفضت فرنسا الإذن لهم بتواطن تونس إبعاداً لهم عن قارة المغرب كلياً، خوفاً من إقبال العموم عليهم، لما لهذا البيت في المغرب من عظم الشهرة وكبر الاعتقاد في نفوس العامة والخاصة، فقضت سياستهم إلحاقهم بأخيهم الأمير، فلما رأوا ذلك سقط في أيديهم، ولم يكن في بالهم هذا الحسبان، فقدموا دمشق سنة (١٢٧٣) واضطر أخوهم الأمير إلى عمل مرتبات لهم مما رتبته له فرنسا، وجاء أقل من راتبهم السالف، ثم إن أحد إخوة المترجم طلب من والي دمشق أحمد باشا الشهيد سنة (١٢٧٦) توجيه مرتب له كاف من الدولة العليّة، فأمره بعمل مضبطة، فأجرى موجبها وسار إلى الآستانة، فوجِّه له معاش كاف، فلما رأى بقية

(١) يعني قطاراً.

إخوته ذلك تحركت همتهم لمثل هذا وتذاكروا في الذهاب إلى الآستانة، فعند ذلك جمعهم أخوهم الأمير قُدِّس سره، وكتب مضبطة بأسمائهم وأرسلها مع السيد مرتضى، السالفة ترجمته[1]، فسار إلى الآستانة ووجه له ولهم معاشات كافية، فكان لصفينا المترجم ألف قرش راتب شهري، وذلك سنة (١٢٧٧) ولا زال يستوفي هذا المعاش إلى أن توفي أخوه الأمير، فوقتئذ انقسمت العائلة قسمين، قسم بقي على أنه من تبعة فرنسا، وقسم انخرط في تابعية الدولة العلية، ورتبت كلتا الدولتين لمن كان على تبعتها المرتبات الكافية، فكان ممن بقي على تبعة فرنسا صفينا المترجم، فعيّنت له ألف قرش أيضاً مشاهرة، ومنحتين في كل عام في عيدين لهم ، كل منحة نحواً من خمس وعشرين ليراً فرنساوية على حسب أصولهم. ولما حصل اكتتاب النفوس سنة (١٣٠١) بدمشق طلب من المترجم أن يقبل التقييد في سجل النفوس العثماني ويعطى هو وعائلته أوراق النفوس فلم يقبل، فسعى بعض أقاربه ممن تعثمن[2] إلى الوالي حمدي باشا فوقف معاشه من الدولة العلية، فاعترض المترجم [على] هذا التوقيف بأن الدولة العلية لما رتّبت له ما شرطت أن يكون من تبعتها، فلم يفد اعتراضه، وبقي معاشه موقفاً ومعاش فرنسا جارياً عليه. هذا ولما قدم المترجم إلى دمشق أكَبَّ على تحصيل العلوم والفنون، فحضر في فنّ النحو، والتوحيد، والبيان، والمنطق، والوضع، والأصول، على العلامة المحقق الشيخ محمد الطندتائي، وقرأ في فنّ النحو على ابن عمته أيضاً العلامة السيد

---

(١) برقم (١٩).

(٢) يعني صار صاحب ولاء للدولة العثمانية وحمل جنسيتها.

مصطفى بن التّهامي، وقرأ جانباً من التوحيد على الصوفي المبارك الشيخ محيي الدين العاني، وكذا على العلامة الشيخ يوسف المغربي، وحضره في «الجزرية» من علم التجويد أيضاً وحضر في التفسير على أخيه العلامة السيد محمد السعيد، وسمع من سيدي وجدي العلامة الشيخ قاسم «صحيح البخاري» بطرفيه بعد العصر في جامع السنانية في شهر رمضان من سنتين مع طلبة أجلّة، وإحضار شروح «الصحيح» والضبط التام والتحقيق البديع كما شافهني به المترجم مراراً، وكتبه لي في مشيخته، وكذا حضر على الجد قُدِّس سرّه جملة من «تفسير البيضاوي» من أوائل سورة البقرة، وسمع على أخيه الأمير قُدِّس سرّه «صحيح البخاري» و«مسلم» في مدرسة دار الحديث الأشرفية، وكتب له إجازة رأيتها، وحضره في مواقفه الشهيرة، وفي «الفتوحات المكية» في داره لما قرئت بحضوره بعد تصحيحها. وولع المترجم بفنِّ التصوف وأدمن النظر فيه، وتلقّن ذكر الطريقة القادرية من السيد محمد علي أفندي الكيلاني الشهير بحماه، ومن أخيه الأمير أيضاً. واشتُهر فضله ونبله وصلاحه وتقواه، وأقرأ في داره في فنون متنوعة، وكذا في جامع العناية في جواره من قسم باب السريجة درساً عاماً بين العشائين مدة، وكان محافظاً على أوقاته، يقسمها على الذكر وتِلاوة التنزيل العزيز، ومطالعة العلم والتصنيف، وزيارة الإخوان في الله تعالى، وصلة الأرحام، ورياضة البدن أحياناً. وكان له ميعاد بين العشائين ليلتي الاثنين والجمعة في داره، يجتمع عنده فيهما بعض مريديه فيذكرون الله تعالى إلى العشاء ذكراً خالياً من شائبة الابتداع. وكان شديد المحافظة على الجماعة أول الوقت، فقلّ أن تفوته إلا أن يُغْلَبَ عليها لأمر ضروري. وكان شديد المحافظة على قيام الليل حضراً وسفراً كما شاهدته

في سياحتي في صحبته إلى بيروت مرة وإلى منازه الغوطتين في كل عام مراراً، يطيل القيام والركوع والسجود، اقتفاءً للهدي النبوي، مجلّلاً عند الخاصة والعامة، محبباً للكافة، ويُقصد لحلّ المشكلات، سمحاً بجاهه، منتدباً لإغاثة الملهوف، فيه دُعَابَةٌ، وله شعر سليقي[1] ونثر حسن، وله ذوق عربي غريب، يقدر قدر البليغ من الكلام، ويقضي بما حوى من رقة وانسجام، مشربه الحديث والعمل به والدعوة إلى التمسك به والحث عليه، ألوفاً، ودوداً، متواضعاً، حسن المحاضرة، كثير المفاكهة والمطايبة، يحفظ تواريخ المغرب ونوادره وجغرافيته البحرية والبرية، ويعلم حالة العصر السياسية ويدري داءها ودواءها. وله فِراسة في الوقائع السياسية عالية، مما يشف على ذكاء الفؤاد ونباهة الخاطر. وكان لا يجيب دعوة من يعلم أن مكسبه حرام وإن اضطر إلى الحضور فلا يأكل بل يجلس على المائدة ويعتذر بأنه اضطر إلى طعام قبل حضوره، وإن أكل في بعض الأحيان فيتقلل منه ثم يتصدق بقيمة ما أكل، هكذا عادته، يتأثر بها بعض الصوفية، وكان يقابل زائريه بالبشاشة الزائدة واللقي المدهش، ويرد الزيارة لمن زاره، ولا يتملق الأعيان، ولا يزور من لا يزوره منهم، ولا يبالي بصدعهم بالحق في المحافل إذا اختلفوا، وربما عوّل في صدعهم على اجتهاده، وإذا جودل يحرر المسألة المتنازع فيها ويرشحها بالأدلة والبراهين. وكم له في ذلك من مقالات فائقة، وله فتاوى عديدة في مواضيع مختلفة حسب الأسئلة التي كانت ترفع إليه يؤخذ منها فوائد كثيرة يعزّ وجودها في الأسفار النادرة، كما أن له مصنّفات بديعة، منها: كتاب على قول الإمام علي، كرم الله

---

(١) يعني يعتمد في نظمه على السليقة لا على قوانين الشعر.

وجهه: (العلم نقطة كثّرها الجاهلون). سماها «نثر الدر» وبسطه وقد أطلع عليها[1] فضلاء عصره فقرّظوها، وفي مقدمتهم مفتي دمشق العلامة محمود أفندي الحمزاوي ومن [في] طبقته، ورسالة على بيتي (توضأ بماء الغيث) الشهيرين شرحهما على لسان العارفين، قُدّس سِرُّهم، ورسالة في السماع سماها «الجنا المستطاب والزبرج المذاب في الرد على من زعم أن سماع المعازف يحرّك القلب لربِّ الأرباب» وقد قرظتها بقولي:

كتـاب كـريم عـليٌّ الجنـاب ... بـديع الفرائـد عَـذْبُ الخِطَـابْ

أبـان عـن الحكـم في مشـكل ... بأسـمى مقـال وأسـنى جـوابْ

وأرشـد للسـالك مطلوبـه[2] ... وأدنـى إليـه سـلوك الصـوابْ

فـدونك سِـفْرَاً بـدا وجهـه ... يضيء وقـد زال عنـه النقـابْ

تمسـك بإرشـاده واتعـظ ... ودع لهـوَ دف الهـوى والرَّبـابْ

فـذاك ابتـداع وأي ابتـداع ... وذاك حجـاب وأي حجـابْ

أمـور منـاكير مـا إن لهـا ... لسـنة طـه الرسـول انتسـابْ

تـوهم قـوم وصـولاً بهـا ... فهيهـات مـا ذاك إلا سرابْ

فتعمـير قلـب الفتـى ذكـره ... لمـولاه واللهـو فيـه الخـرابْ

وكـل الـذي سـنه المصطفى ... ففيـه إلى الحـق أعـلى اقـترابْ

---

(١) في الأصل: «وقد أطلعها على».

(٢) في الشطر خلل في وزن الشعر.

فلازم على الشرع واعمل به ... وحاذر لما فيه أدنى ارتيابْ

وهذا الكتاب بذا كافل ... ولم لا وذاك الجنا المستطابْ

فرد من كؤوس هدى نصحه ... سلافة حق صفت للشرابْ

وخلِّ فؤاداً بناصع ما ... حوى صفو زبرجه ذا المذابْ

أدام الإله لمن شاده ... رقيَّ المعالي ليوم الحسابْ

وأوفى لعلياه من فضله ... تمام الثواب وحسن المآبْ

وكنت حرضته على جمع «تاريخ» في سيرة أخيه الأمير لما كان يُشَنِّفُ أسماعنا ويؤنس مجالسنا دائماً بنبئه العاطر، فأجاب وجمع «تاريخاً» له في مجلد سماه «نخبة ما تسرّ به النواظر وأبهج ما يسطر في الدفاتر في بيان سبب تولية الأمير عبد القادر في إقليم الجزائر» وقرظته أيضاً بقولي:

ذي نخبة سرَّت فؤاد الناظر ... أبهى مآثر سُطِّرت بدفاترِ

في سيرة المولى الأمير المجتبى ... العارف الحسني عبد القادرِ

من أدهشت آثاره أهل النُّهى ... وغدت بجيد الدهر عِقْدَ جَوَاهِرِ

يا طالما الفضلاء ودت لو ترى ... آثاره جمعت بسفر باهرِ

كيما تحلّى فكرَها أخبارُه ... أيام دولته بقطرِ جزائرِ

وإذا النفوس تعطشت لمؤلَّفٍ ... في ذلك النبأ العظيم الغابرِ

أمضى اليراع لذا أخوه المعتلى ... مجداً وفضلاً فوق كل مناظرِ

الحبر أحمد بهجة العُلماء مَن ... ورث المعارف كابراً عن كابر

فأبان منتخباً عظيماً وقعه ... لاحت به آيات صدق ظاهرِ

لا زال جامعه يفيد لطائفا ... تملى وتستلى في رؤوس منابرِ

ما فاح طيب مآثر النبلاء من ... روض المعارف بالكمال الوافرِ

وبالجملة فقد كان المترجم آية في الفضل واللطف ورقة الحاشية والتمسك من التقوى بالسبب الأقوى، صديقاً صادقاً وخليلاً موافقاً. عُقدت الصداقة والصحبة بيننا من سنة (١٣٠٣) عام اختارني أن أكون إماماً في جامع العنابة في جواره، وجاء إلى سيدي الوالد وجهاه جيرانه في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، وكنت أشاهد منه ملازمة مدهشة على الجماعة أول الوقت، فكان مثابراً عليها صيفاً وشتاءً، ولا يترخص في الأوقات الممطرة ولا المثلجة، حباً في العزائم وجهاد النفس في القيام على قدم العبادة، ولا تنفك في كل وقت من المذاكرة، في حديث، أو آية، أو تاريخ، أو نكتة أدبية، وغالب اجتماعنا في حجرة كانت لي في الجامع المذكور. وحصل لي من بركة صحبته نفع وافر ديني وعلمي، واقتبست من أخلاقه الطاهرة، واستجزت منه فأبى ثم ألححت عليه فأجاب، وأردت اتصال سندي بسيدي الجد من طريقه، فجزاه الله أحسن الجزاء وأتمه.

وقد زار بيت المقدس والخليل وغيرهما في صحبة الأمير[1] قُدِّس سرّه، ولم يزل على سيرته الحسنة وشمائله المستحسنة، إلى أن ألمّ بمزاجه مرض عصبي في بدنه قبيل

---

(١) يعني الأمير عبد القادر الجزائري.

وفاته بأعوام، كان يخبرني عنه، وفي آخر المدة قبيل وفاته بأشهر ضعفت قواه وصار يتجلد في الخروج للجماعة ونحوها، إلى أن استحكم معه بإدرار تمكن منه في المثاني، ثم في أوائل ربيع الأول حصل له التهاب في المثاني، ولزم الفراش، وأخذ يشتد معه الألم من ذلك. وذكر بعض الأطباء أن مرضه كان كمرض أخيه الأمير إلى أن أسلم الروح الطاهرة صباح الأربعاء في (١٧) ربيع الثاني عام (١٣٢٠) الموافق ١٠ تموز[1] ولما ذاع نعيه في أنحاء البلدة، أَمَّ داره العلماء والوجهاء يحوقلون ويسترجعون، واحتُفل بمأتمه احتفالاً بالغاً، وحمل بنعشه من داره في باب السريجة إلى الجامع الأموي، حتى إذا قضيت الصلاة عليه سِيْرَ به إلى مقبرة باب الصغير، حيث واروه جدث الرحمة والرضوان، قريباً من مقام الصحابي الجليل بلال الحبشي رضي الله عنه. وأُخبرت أن الجمع كان وافراً جداً. ولم يقدَّر لي حضور مشهده لأني كنت مع بعض الإخوان في عين الفيجة. وفي مساء الخميس ثاني يوم وفاته حضرت في الوابور[2] منها إلى البلد فَخُبِّرْتُ بهذا المصاب العظيم والرزء الجسيم، فنزل به[3] ما الله به عليم وودت أن لم أكن وقتئذ غائباً ثم تذكرت هذين البيتين:

قالوا ألم تحضر خليلك عندما ... دفنوه قلت هناك بئس المحضرُ

لا أستطيع أرى المعالي بينكم ... محمولة وأرى المكارم تقبرُ

(١) من سنة (١٩٠٢) م.

(٢) يعني في القطار.

(٣) يعني من الهم والحزن والألم الشديد.

وفي صباح الجمعة زرت ضريحه وصلّيت عليه، ومكثت مع أهله برهة أتذكر فقدنا لتلك الأخلاق الطاهرة والمزايا الباهرة والمودة الأكيدة والصحبة الحميدة.

كفى حزناً أنّي أمرُّ بقبره   فأمضي وقلبي بالأسى متكسرُ

فرحم الله روحه ونوّر ضريحه، آمين.

* * *



(٢١)

الشيخ بكري بن حامد بن أحمد بن عُبيد، الشهير بالعطار، الدمشقي الشافعي[١]، خاتمة شيوخنا العظام، وأساتذتنا المقدّمين الكرام، العلامة العلم، كوكب الشام، وبهجة أقرانه الأعلام، وبقية الفضلاء الصالحين والأجلاء البارعين المتمكنين.

ولد سنة (١٢٥١) بدمشق، ونشأ في حجر والده نخبة الأفاضل الشيخ حامد العطار، وحفظ القرآن عن ظهر قلب، وجوَّد على شيخنا مقرئ الشام الشيخ أحمد الحلواني، وحفّظه والده المنوّه به «الأربعين النووية» فاستظهرها، وأسمعه «الأربعين العجلونية» مع جماعة. وأجاز له إجازة عامة. ولما هَمَّ والده بالحج سنة (١٢٦٢) استصحبه معه، ثم لما توفي منصرفه من الحج في القطرانة قرب معان، كما سلف في ترجمته[٢]، حضر شيخنا مع حاشية والده إلى دمشق، وأخذ بالجدِّ في الطلب، وحفظ كثيراً من المتون في فنون متنوعة، فحضر في الفقه على شافعي وقته الشيخ عبد الرحمن الطِّيبي من أقران والده، وقرأ على الفاضل البارع هاشم التَّاجي البعلي، وحضر على الشيخ عبد الله الحلبي في «البخاري» وقرأ على العلامة الشيخ حسن البيطار طرفاً من

---

(١) ترجمته في «الأعلام الشرقية» (١/ ٢٨٦) و«نموذج الأعمال الخيرية» (٤٤١) و«أعلام الأدب والفن» (١/ ٣٩٤) و«أعيان دمشق» (٣٩٩) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ١٩٧) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧١٤) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٤٧) (١/ ٤٩٤) و«حلية البشر» (١/ ٢٧٢).

(٢) يعني في طبقات مشاهير القرن الثالث عشر الهجري من كتاب المؤلف «تعطير المشام» وهو مخطوط.

النحو والحديث، وعلى العلامة الشيخ حسن الشَّطِّي الحنبلي «صحيح البخاري» والفرائض، وأخذ النحو على الأستاذ الشيخ عبد الرحمن با يزيد، وكان انفرد بفنّ النحو، واشتهر باستحضار قواعده وشواهده، وقرأ على الصوفي الصالح الشيخ محمد العاني جانباً من فنِّ التوحيد، وحضر مجالس ذكره في داره ولازمه، وقرأ في الفقه أيضاً على الفاضل الشيخ أحمد المنيّر إمام الشافعية بالأموي، وحضر بعض كتب الحديث عند السيد عمر أفندي الغَـزِّي وأجاز له، وقرأ على العلامة الرحّالة الشيخ أكرم الأفغاني عام قدومه لدمشق طرفاً من المنطق وغيره، ولازم إمام المعقول العلامة ملاّ داود الكردي النقشبندي نزيل جامع الورد بدمشق فحضره في «الجامي» وحواشيه، و«الشمسية» وحواشيها، وأشهر كتب المنطق والصرف، وغير ذلك، وحضر في المعاني والبيان على شيخنا ابن أخيه القائم مقام أبيه الشيخ سليم العطار، وأعاد له درسه في التكية السليمانية شهري رجب وشعبان سنين، ثم تركه، وقرأ على العلامة السيد مصطفى المغربي الجزائري ثم الدمشقي جانباً من فنِّ العربية، واستجاز من العلامة الشيخ محمد التميمي، وأسمعه حديث الرحمة المسلسل بالأولية بأولية حقيقية، ومن الشيخ داود البغدادي، وكانا قدما إلى دمشق، وجدَّ واجتهد في الأخذ والحفظ والتلقي والمطالعة والمذاكرة وحفظ الوقت للإفادة والاستفادة، وتصدى للإقراء بإذن شيوخه، حتى نما فضله، واشتهر صيته، وأضحى من المنوَّه بهم، واشتهر بحسن التفهيم وجودة التعليم، فأكبت الطلبة عليه ولزمته، وانتفع به من لا يحصى، وأخذت الطلبة في الإقبال عليه سيما أوقات امتحان طلبة العلم الذين أصابتهم القرعة العسكرية، فقد كان المرجع لهم في الكتب التي يمتحنون منها، وفي عويصات المسائل التي يسألون عنها، وانفرد باستحضار الدقائق المنطقية والصرفية والنحوية والفقهية وحفظها والكشف عنها

انفراداً لم يشاركه فيه أحد من أقرانه فيما أعلم، لقوة ملكته وذكائه، وغور فهمه،[و] كان يقرأ مثل حواشي العصام على «الجامي» وحواشي «الشمسية» وشروحها، و«حواشي الفناري» و«حواشي النتائج» و«المغني» وشروح «الشافية» ومثل «التحفة» في الفقه الشافعي، بلا مطالعة متقدمة، بل يدرك غورها ومالها وما عليها بمجرد مروره عليها أول وهلة، مما لم أره لغيره من أقرانه. وانفرد أيضاً بحفظ كثير من الأوراد المأثورة وغيرها، فقد كان يلازم تِلاوتها صباحاً ومساءً. ويتلوها صباحاً بعد الفجر أمام المقام اليحيوي بالجامع الأموي. وفي سنة (١٢٦٢) قدم لدمشق السيد محمد علي أفندي الكيلاني مفتي حماه، فلقّنه الذكر، وأجازه بالأوراد القادرية، وألبسه تاجاً، ولم يزل يتعمم التاج منفرداً عن أقرانه بذلك محافظة على العهد. وكان له في داره ميعاد ذكر ليلة السبت بعد العشاء يجتمع عنده لفيف من الفقراء وأهل الذكر، وقصد لعمل التهاليل في دمشق، فقلَّ أن يمضي شهر إلا وعنده تهليلة أو أكثر. وكان يصنع تهليلة لوالده سنوية في الليلة السادسة من شهر صفر يدعو إليها علماء الشام وأعيانها وسواهم، فيغدو المجمع في داره حافلاً جداً. وكان قُدِّس سرّه متودداً إلى الكافة، لطيف الأخلاق، متواضعاً، بشوشاً، سليم الصدر، لين العركة، سهل الانقياد، محبباً إلى الجميع، سخياً سخاءً جِبِلّياً، مضيافاً، يلاطف الكبير والصغير، ويعاشر طلبته ويحادثهم ويحادثونه، يحفظ أخبار الطبقة المتقدمة وما جرياتها، منقطعاً للإفادة والتعليم. وبلغت دروسه عشرة في اليوم والليلة. وربما أقرأ قبل طلوع الشمس وأقرأ كثيراً بعد العشاء في الليالي الطويلة. وحضرته سنة من السنين وقتئذٍ وله درس عام بين العشائين في الأموي دَرَّسَ فيه كثيراً من الحديث والتفسير وغيرهما.

وبالجملة فإكبابه على التعليم والتدريس والإفادة والصبر على الطلبة وتكرير المسائل وتفهيمها أمر غريب، كأنه قُدِّس سرّه شُغف بهذه الحالة، ولم يتولع بتأليف، وإن كان جمع عنه بعض الطلبة كثيراً من التقارير والتحارير وتوضيحات المسائل جملة وافرة. وكان قوي الحافظة، شديد الاستحضار للقواعد الصرفية والنحوية والمنطقية، بحيث يكاد أن لا يغيب عن ذهنه كلية منها أو شاهد، وإذا جرَّ البحث في دروسه العامة لمسألة نحوية أو صرفية يفيض الكلام على أطرافها إفاضة غريبة، وانتفع به من لا يحصى بحيث كاد أن لا يبقى أحد من غير أقرانه إلا وهو تلميذه أو تلميذ تلميذه. وفي سنة (١٢٩٨) قصد الديار الحجازية ومرَّ في ذهابه على مصر. ولقي أفاضلها. واستجاز من العلامة الشيخ عُلَيْش[1] مفتي المالكية، ومن الأستاذ البنا في الاسكندرية، ومن الشيخ أحمد [بن زِيني] دَحْلَان في مكة المشرفة، وقدم على طريق البر. ولما توفي شيخنا المُسْنِد الشيخ سليم العطار سنة (١٣٠٧) طلب شيخنا المترجم درسه في التكية السليمانية خميس شهري رجب وشعبان بحجة أنه وظيفة والده الشيخ حامد، وأن النظام كان يقتضي توجيهه عليه أصالة لا على ابن أخيه المنوّه به، فعورض بتوجيهه على ابن أخيه ببراءة سلطانية، وأن النظام يقضي بتوجيهها على المتأهل لذلك من أولاده، فترشح لذلك ولده الأكبر فلم يؤدِّ الامتحان، ثم استدعى شقيقه الأصغر منه فلم يؤدِّ الامتحان أيضاً، فقضي الأمر بتوجيه الدرس المذكور على ولد له صغير، وأن يكون شيخنا المترجم وكيلاً عنه ريثما يتأهل، وأن يكون معاش الدرس المذكور أثلاثاً، لشيخنا

---

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد عُلَيش أبو عبد الله، من أهل طرابلس الغرب. مات سنة (١٢٩٩)هـ. انظر «الأعلام» (٦/ ١٩).

الثلث ولذاك الثلثان، فقرر القاضي ذلك، وجاءت البراءة بمقتضاه، وابتدأ شيخنا المترجم في الدرس المذكور سنة (١٣٠٨) من المحلّ الذي وقف عليه شيخنا ابن أخيه، وهو من «صحيح البخاري» باب قوله تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[1] من آخر الصحيح، ولم يزل حتى ختم «الصحيح» سنة (١٣١٤) وابتدأ بقراءته إلى أثناء كتاب العلم، وكان يحضر درسه المذكور العلماء والأعيان ويدعو له كثيراً من موظفي الحكومة، ويخلع عليه يوم الختام حسب العادة من الوالي والمشير، وسما قدره لدى الأكابر وأُولي الأمر سموّاً عظيماً وأجلّوه إجلالاً باهراً، وصار يُدعى شيخ الشام، حتى في آخر سنيه صار يقدمه قاضي الشام على نفسه في المحافل ويتأدب معه. وكان يتودّد إلى الأعيان والموظفين ويزورهم ويزورونه ويقبلون رجاه، ويسعى في قضاء مآرب من يرجوه. ولم يزل على طريقته المثلى ممتعاً بصحته وقوته وسمعه وبصره على ضعف اعتراه فيه إلى أن فجعت الشام به خامس شوال سنة (١٣٢٠) وذلك في مرض الوباء الذي نزل بالشام في أواخر شعبان وبقي بها أشهراً وذهب، قُدِّس سره، يوم رابع شوال لرد زيارة العيد لبعض جيرانه وأرحامه ثم عاد وتغدى قبيل الظهر، ثم أخذ في القيلولة على عادته واستيقظ قُبيل العصر، فشرع في الوضوء لصلاة الظهر، فبعد أن صلى قاء، ثم اعتراه إسهال نحواً من مرتين وتغيّر مزاجه، وصلى العصر والمغرب والعشاء بجماعة في بيته، وازداد انحرافه فأُحضرت له الأطباء فَسَكَّنوا روعه، ووضعوا له علاج الوباء فتناوله، وبذلوا الجهد في كل ما يقدرون عليه فلم ينجع شيء، وأخذ يغيب ويفيق، ثم أدرك من نفسه الإشراف على الدار الآخرة، فأخذ يذكر الله كلما صحا وأوصى،

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٥٦).

بخمسة آلاف قرش، ولم يزل يشتد معه الحال إلى صباح ذلك النهار وهو يوم الأحد، ففيه أسلم الروح الطاهرة بعد طلوع الشمس وذلك في (٢٢) كانون الأول[1]، وكان اليوم ممطراً موحلاً والناس في الاجتماع لرؤيا محفل الحج، فشاع الخبر في البلد، وأعلم بنبأه في المآذن، وطارت قلوب الناس جزعاً، وأرسل إلى أهله بعض الرؤساء أن يتمهلوا بتجهيزه ويخرجوا به من الدار الساعة الثامنة بعد الظهر[2] بساعة، ففعل ذلك، ودخلت جنازته إلى الجامع الأموي ونحن في انتظارها بعد الساعة الثامنة، ولا تسل عن المجمع المحتشد من أهالي دمشق على طبقاتهم، واحتمل السير به من الجامع إلى مقبرة الدحداح حيث واروه جدث الرحمة والرضوان أكثر من ساعة، وعند دفنه هطلت السماء بالغيث المدرار، وتذكرت قول من قال في مثل ذلك مطلع قصيدة: (بكت السماء عليه ساعة دفنه) ورجعت الأقوام والأسف والحزن يملأ قلوبهم[3]، فرحمه الله ورضي عنه.

وقد كان، قدس سره، له تودد للفقير زائد، وبعد أن اكتفيت بما قرأته عليه من بعض الفنون الآلية لازمت مجالسه الحديثية صباح كل ثلاثاء وجمعة في «البخاري» و«مسلم» و«الموطأ» و«أبي داود» و«ابن ماجه» و«النسائي» زيادة عن نصفه، وفيه اخترَمَتْهُ المنية. وكان درسه في الحديث المذكور غاصّاً في داره بكبار الطلبة والنبلاء، وكان يجلسني إلى جانبه، وكثيراً يستطلع جوابي في بحث لطفاً منه وتواضعاً، فإذا

---

(١) من سنة (١٩٠٢)م.

(٢) يعني في الساعة الثامنة مساء وكان من عادة أهل الشام وسواهم من أهل البلدان الإسلامية في تلك الحقبة وما قبلها دفن الأموات ليلاً.

(٣) في الأصل: «والحزن ملأ قلوبهم».

حضرت في درسه العام فيتوجه إليّ التوجه التام محبة وإيناساً. وكان يتفقدني إذا غبت تفقداً قلبياً، ولا أنسى كثيراً من مجيئه لدارنا أيام سيدي الوالد، قدس سره، وبعده أيضاً، واتفق في رمضان هذا العام أنه لم يتيسر لي زيارته أول شهر لباسور كان ألمّ بي، فثقلت عليَّ الحركة بسببه، فسأل، قدس سره، عني شقيقي عيداً، فأخبره، فحضر لعيادتي نهاراً إلى جامع السنانية في أواخر العشر الأول من رمضان، فقدمته لصلاة العصر، فأمنا، ثم جلسنا على السدة اليمنى، وقال: جئت لأجلك، فابتهجت به، وكذا إخواننا، وتفاوضنا فيما ألم بي وفي أدويته، وداعبته في قول الأقدمين (الباسور داء الشافعية) وجلسنا حصة وافرة، ثم ألححت عليه أن يتكرم بالإفطار عندنا فاعتذر، ثم ودعناه إلى باب الجامع بعدما لثمنا[1] يده المباركة، ثم زرته بعد ليلة بعد صلاة التراويح فرحب بي وأدناني، وقال: كَلَّفت نفسك، وإني اطمأننت عليك، فقلت له: تنسّمت العافية والشفاء منذ تشريفكم، فرحم الله تلك النفس الطاهرة والأخلاق الباهرة، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ورثي بقصائد كثيرة، منها قول بعض الأدباء:

تزعزعـــت المشـارقُ والمغـارب	وجـاءت في مـدامعها السحـائبْ
وباتــت ناعيــات الشــام تبكــي	عــلى عطّارنــا بكـري المشــاربْ
إمــــام في الحقيقـــة لا يُبَــارى	وحصـــن للشريعـــة والمـــذاهبْ

---

(١) أي قبّلنا.

سراج العلـــم أطفـــأه هـــواء قد أصفرَّت له شـمس الكواكـبْ

فحادت عـــن مراكزهـا الـرواسي وضـاقت في نواحينـا السَّبَاسـبْ

بيـوم المحمــل انقضـت علينـا جبـال العلـم فانهـدت مناكـبْ

أجـل والله خطـبٌ جـلّ فينـا بـه هانـت لنـا بـاقي المصـائبْ

*   *   *



(٢٢)

الشيخ عبد الحكيم بن محمد نور بن الحاج ميرزا الأفغاني الحنفي[1]، نزيل دمشق.

كان صالحاً، قانعاً، متقشفاً، محبباً، منزوياً في حجرته في دار الحديث، لا يخرج منها إلا إلى الجماعة أو المكتبة العمومية أو الرياضة البدنية في أطراف البلدة أو سفح جبلها، مكباً على المطالعة والإقراء، لا سيما في الفقه الحنفي. وله رسائل وتعليقات على كتب شتى وشرح على «الكنز». وكان يتعبد على أقوال أبي حنيفة رضي الله عنه مع انقباض ومشرب حاد، وكنت طلبت ترجمته بواسطة أحد تلامذته فأملى عليه ما مثاله عن نفسه: خرج من بلده سنة (١٢٨٥) إلى مصر فأقام بها سنة، ثم رحل إلى الآستانة فأقام بها سنة أيضاً، ثم منها إلى إزمير فأقام بها كذلك، ثم منها إلى طرسوس فأقام بها سنتين، ثم منها إلى الشام فأقام بها سنة، ثم منها إلى المجدل فأقام بها كذلك، ثم [منها] إلى عكا فأقام بها كذلك، ثم إلى كفر تخارين - قرية من قرى حلب - فأقام بها كذلك، ثم إلى ساحل القدس فأقام بها سنة، ثم رحل إلى دمشق واتخذها وطناً، وحج منها عاماً واحداً، ولما قدم دمشق أقام أولاً في المدرسة المرادية ثم انتقل منها إلى دار الحديث. ولازمته المتفقهة من الطلبة في حجرته بها. وكان يعتزل القراءة في كل عام شهراً كاملاً

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٣/٢٨٣) و «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/٧٥١) و «إتحاف القاري» (١٤٠) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١٦٤) و«معجم المفسرين» (١/٢٥٨) و«الأعلام الشرقية» (١/٣٢٤) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/٢٤٠) و«معجم المؤلفين» (٢/٥٩).

يصنع لنفسه شراباً من عقاقير معدودة يتداوى به، ويقصد وقتئذ الجبال ومواضع النزهة أو القرى والثغور، ثم أخذ منه السنّ، واحدودب ظهره أخيراً، واعتراه هزال وضعف تجلده معه إلى أن توفي رحمه الله ليلة الاثنين ثامن شوال سنة (١٣٢٦) عن نحو خمس وسبعين عاماً، وفي الصباح أمَّت الناس والفضلاء وكبراء البلدة المدرسة واحتفلوا بتشييع جنازته، وبعد الصلاة عليه في الجامع الأموي ساروا به إلى مقبرة الباب الصغير حيث أعدُّوا له قبراً بين العلائي وابن عابدين فدفن فيه رحمه الله تعالى. وقبل وفاته وَزَّعَ كتبه وأثاث حجرته الخَلِقِ على تلامذته وما معه من قليل الدراهم.

وبالجملة فكان قدوة في الصلاح والكمال والاشتغال وعدم الدخول فيما لا يعني، وترك ممالأة الحشوية في مقاصدهم، عاملاً بما تتقاضاه صفة العلم والظهور به، من نهج طريقة السَّلَف، ومن مؤلفاته: «كشف الحقائق شرح كنز الدقائق» وشرح على «المنار» وتعليقات على «البخاري» وتعليقات على «تفسير النسفي» وله رحمه الله تعليقات أخر، ولم يخلِّف مثله في الهمة والجد والاشتغال.

* * *

(٢٣)

الشيخ مصطفى بن علي بن قاسم الشهير بالحلاق، الدمشقي الأثري النظَّار[1]، من علماء دمشق المشاهير. كان جده يحترف صنعة الحلاقة، ثم استأجر حمَّاماً وأدار عمله، ونشأ أبوه حلاقاً أيضاً، ثم تاجر ببيع ورق التبغ فاستغنى بذلك وأثرى، وتوفي وعمر ولده المترجم نحو ست سنين، وقد كانت ولادة ابنه سنة (١٢٧٦) ثم شَبَّ وعين العناية ترمقه فجوَّد القرآن والكتابة والحساب، وحفظ معظم القرآن عن ظهر قلب، وأقبل على طلب العلم إقبالاً عظيماً وتفرغ له، مع يتمه وحداثة سنه. وجهل كافليه، [و] كان ذلك بوازع ربَّاني ومدد إلهي، وأخذ يحضر دروس شيوخ دمشق في العلوم العربية والشرعية، وتفقه على المذهب الحنفي أولاً، وأخذ يقرأ ويُقرئ على صغره بهمة لا تعرف الملل ولا الفتور، وكم أحيا ليله وواصل به نهاره، وظهرت عليه نجابة ونباهة انفرد بها، وبلغ من الذكاء والفطنة مبلغاً لم يلحقه فيه أحد من أقرانه ولا من شيوخه ولا من تلامذته، حتى ضرب بذكائه المثل، وأصبح أعجوبة في الفهم وسرعة البديهة وحسن المحاضرة وقوة الحفظ وإفحام المناظر بالحق وإدهاش المحاور بالإلزام، وصارت له مكانة الفضل في القلوب وهيبة العلم في النفوس. وكان شديداً

---

(١) ترجمته في «أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٣٣٨) و «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ٢٦٩) و «منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٩٥).

حديداً توجل النفوس منه وتشفق لاستيقان محاوِره الغلب معه، وأنه ليس من رجال ميدانه، وأجلَّته شيوخه، وأضحى بهجة الدروس وزينة المجالس ومجلي غوامض المشكلات، وعرف بذلك وشُهِرَ به شهرة أربت على أقرانه كلهم. وقد كان لمعاشريه راحة أنفسهم وقرة أعينهم، إذ له من المحاضرة والنكت والأجوبة اللطيفة والشواهد العذبة ما يسلّي الحزين ويكشف الغمة. وقد فطر على سخاء ندر أن يوجد في كبار المثرين على قلة ذات يده، وبلغ من ذكائه أن كان يدرك خفايا الأمور ودقائقها حتى من الصناعات والحِرَف والتجارة والمبيعات، فكان لا يخفى عليه مكامن غش المصنوعات والمنسوجات والمبيعات على أنواعها، وقد يظن من يساومه أنه ممن احترف بحرفته وعمل بصنعته لقوة إدراكه وشدة فطنته، وكنت أشاهد منه عجائب وغرائب، وأما سرعة فهمه لدقائق المسائل وغوامض العبارات لا سيما في المؤلفات التي اشتهرت بالصعوبة والغموض وإنها كالألغاز والأحاجي وإدراكه لها بأدنى التفات فأمر لم أره لغيره، وقد أدرك ما أدرك من العلوم بمدة قليلة لأنه كان لا يعوزه لنيله إلا تصفحه والمرور عليه، وربما كان شهره أيامَ طلبه بستين من غيره، وكان في خلال ترداده على الشيوخ يقرئ الطلبة ويصبر على طول حصة الدرس، وربما قضى معظم الليل معهم. وقد أقرأ في مدرسة التعديل بالقنوات وهو في عنفوان الشباب، ولازمه كثير من طلبة العلم، وأقرأ أيضاً في مدرسة العدَّاس في القنوات. وكان له حجرة فيها يقطنها، ومن الأسف أن كل من تردد للقراءة عليه لم يصبر على صحبته لينتفع منه إذ يرون منه سرعة التأثر مما لا يوافق مشربه

والصدع فيما لا يلائم مزاجه وفكره، مع أن ذلك الخلق سببه شدة الذكاء ولطف المزاج والثبات على الأحسن والأكمل وعدم النفاق، لذا كان يرغب أن يكون معاشره وتلميذه على شاكلته، فكان يحتد ويشتد على من يتهاون فيما لا يحبه أو يتساهل فيما لا يوافقه، وربما أعرض عنه وهجره، ولكنه كان سليم القلب فلا يلبث بعد هجره صاحبه أن يُقبل عليه ويصافحه ويدعوه لمحله ويضيّفه ويكرمه، وقد كان كثير الضيافات لأصدقائه وتلامذته، يعمل لهم أحسن المطاعم حسب جهده ومشربه، وكان لا يأكل إلا أجود المطاعم ولا يبتاع إلا أثمنها، وله براعة في فنّ الطبخ وتفنن في إجادة ذلك، أربى به على أربابه، وقد عيّن له مرتب شهري من صندوق البلدية، وكذا مرتب شهري على تدريس في الجامع الأموي بعد الظهر من جهة أحد أغنياء الأتراك، ثم انقطع عنه المرتب الثاني فرأى قلّة الأول جداً، ورأى أن الوظائف العلمية متسلسلة بناموس الوراثة عن الأب والجد لا بناموس الأهلية والاستحقاق، ورأى أن الديون ركبتِه فأخذ يتعلم فنّ المحاماة ووكالة الدعاوي بمصاحبة نجباء أهلها، فبرع في ذلك في أقرب وقت، وصار يحامي في المحكمة الشرعية والمحاكم النظامية واشتهر بذلك لذكائه وقوة عارضته، وعرف بين المحامين ورزق حظاً من ذلك واتسعت دنياه عن ذي قبل، وتزوج، ورزق أولاداً، وزاد سخاءً وجوداً واختص بشؤون المحاماة، وقُصد للمراجعة في معضلاتها واستفادة المخارج من الدعاوي العسيرة. وكان يحدثني بغرائب من تقصيه في مضايق يحار لها اللبيب الألمعي، وكانت عنده على طرف الثُّمام وكان أوحد خلاني

وأصدقائي، صحبته وصحبني في كثير من مشايخي ودروسي، ولما ألّفت كتاب «إرشاد الخلق في العمل بخبر البرق»كان يُعجب من المعترضين في ذلك ويرد شبههم التي أوردتها بطريقتي، وأعانني في تلك الأجوبة وقت المذاكرة، وكان يميل إلى الأخذ بالأثر إذا صحّ ولا يقلد إلا ما وافق الحق، ويناظر أهل الجمود والتقليد ويحجهم، وكان ربما عُدَّ في هذا الباب بألف من غيره، وكان يرغب إليَّ في السير إلى المنتزهات في أوقاتها شفقةً منه عليَّ لما يرى من انكبابي على ما أنا عليه ويسير بي من دروسي وجامعي إلى داره كثيراً، واستفاد من صحبة الأستاذ العلامة الشيخ عبد الرزاق أفندي البيطار علماً جماً وتنويراً للفكر لم ينله قبل، وكان يحمد الله على ذلك. ومن أشياخه والدي، قرأ عليه شيئاً من العربية أوائل طلبه، وكذا قرأ على الشيخ سليم العطار، والشيخ بكري العطار، ولازمهما كثيراً في عدة فنون، وعلى الشيخ بدر الدين المغربي، وأعاد له درسه سنين ثم تركه، وعلى الشيخ محمد الخاني... في «اصطلاحات الكاشاني» و«المواقف» و«حواشي الأمير... [1] عليه السلام» معي، وقرأ على غير هؤلاء وجل انتفاعه من صدق طلبه وحرصه على القراءة والإقراء وما وهب من الذكاء، وكان يترخص أحياناً بالجلوس على حافات الأنهار والمنتديات العامة يقصد بذلك ترويح نفسه إذ عراه رحمه الله مرض ضيق الصدر والسعال، وكانت وفاته فجأة ليلة الأربعاء غرة رجب سنة (١٣٢٩) متأثراً من قضية أصابه بها نزلة صدرية فعاجلته المنيَّة، ودفن ضحوة الأربعاء في مقبرة الباب الصغير غربي المقام البلالي ولم أحضر مشهده لتغيبي في القلمون ولكن جئت

(١) مكان النقط كلمة غير مقروءة في الأصل.

ثاني يوم وصليت على قبره ودعوت له، وتلك القضية أشارت لها جريدة المقتبس في عدد (٧١٦) بتاريخ (٢) رجب سنة (١٣٢٩) قالت في الصفحة (٤) ليلة أمس في الساعة الثالثة تقريباً بينما كان الشيخ مصطفى الحلاق مع رفيقه أحمد أفندي أمام مكتب الإعدادي جالسين بقهوة الجسر إذ بأديب الحلبي من سكان حي باب السريجة ومن المتشردين جاءهما وهو بحالة السكر وطلب من الشيخ مصطفى دراهم على سبيل الصدقة وبما أنه لم يعطه (أي لأنه رأى ذلك إعانة على معصية) أخذ السائل يسبه ويشتمه بكلمات مهينة فأخبر بوليس النقطة بالأمر وبعد جلبه إلى الدائرة والقيام بالتحقيق كرر السائل سبه وشتمه ومن بعدها خرج الشيخ مصطفى آيباً إلى القهوة وقال لرفيقه أحمد أفندي أثناء الطريق اذهب أمامي للقهوة وأنا باق لدفع حاجة فعندها ذهب رفيقه إلى القهوة وبقي وحده في الطريق قاعداً وعند مجيء دورية الشرطة نظرت إليه فوجدت القميص وباقي ثيابه ملقاة على الأرض وهو يئن أنيناً ضعيفاً، فسألاه ماذا أصابك فالتفت إليهم مشيراً بيده اليمنى إلى قلبه وبالحال أحضروه للدائرة من دون حراك والزبد يخرج من فمه وبعد خمس دقائق فاضت روحه. وقد تبيَّن من تقرير البلدية أنه توفي بداء السكتة القلبية ا.هـ. قال المقتبس مذيلاً المرحوم الشيخ مصطفى الحلاق هو من وكلاء الدعاوي، ومن أهل العلم، أسف لوفاته جميع من عرفوه رحمه الله تعالى وعزى آله ا.هـ وقد اعترضت جريدة العصر الجديد في عددها (٤٩٩) لما ذكرت هذه الحادثة بتاريخ (٣) رجب سنة (١٣٢٩) قالت في الصفحة (٣) وفي قرار طبيب

البلدية: إن سبب موته داء السكتة القلبية. قلنا في الأمر نظر إذ من المعلوم أن التأثرات النفسية إذا شاركت العلة القلبية سببت موت المتأثر وعليه يحكم على مسبب التأثر بالجنحة شرعاً لأنه سبب اشتراك التأثر مع العلة ولنا على ذلك عدة شواهد منها حادثة جرت في دمشق منذ آنٍ غير بعيد انتهى. ثم كتبت جريدة المقتبس في عددها (٧١٧) بتاريخ (٤) رجب (١٣٢٩) على حادثة المرحوم المترجم مقالة افتتاحية عنوانها (المتشردون والجنايات) قالت: لو نُفِّذَ قانون المتشردين الجديد على بعض فكان النقد فيه حق تنفيذه في دمشق بل سورية بل الولايات أجمع لقلّت الجنايات قلّة لا تكاد تصدق، بل ولو نفذ الحكم الشرعي والقانوني بالقاتلين فقتل القاتل في أسرع ما يمكن لما رأينا في بضع سنين رجلاً يقدم على ارتكاب أمر فظيع كقتل نفس وغير ذلك، خذ لذلك مدينة دمشق، فقد وقعت فيها بعد الدستور من جملة الجنايات ثلاث جنايات مهمة لو عُجِّل بإنزال العقوبة الشرعية بالمجرمين لما كان اثنان من المتشردين أمس قتلا رجلاً وامرأة، قتل المتشرد الأول رجلاً من أهل الفضل والعرض والناموس، ونعني به المرحوم الشيخ مصطفى الحلاق لأنه آذاه بكلام قاله له في حال سكره وهو يطلب منه صدقة (ثم ذكرت الحادثة الثانية وقالت بعد: إن الجنايتين اللتين وقعتا أول أمس في دمشق فاهتزت لسماع خبرهما الأعصاب الحساسة كان فيها الجرم مشهوداً فهل لعدلية دمشق أن ترينا معاملة الحكومة الدستورية في الإسراع بالحكم على القاتلين في بضعة أيام إذا فعلت فنحن على ثقة من أن دمشق لا تعود تسمع بجناية يرتكبها متشرد أو

معربد في كل خمس سنين) ثم قالت: وفي الختام نلقي كلمة إلى الحاكم الأعظم في هذه الولاية ونعني به واليها: إن كنت تحب تقوى الله وتخاف عقابه وترجو ثوابه وتحب أن تأخذ راتبك الجسيم حلالاً طاهراً فاصدع بحكم الله واسع مع المراجع العليا في إقامة الحدّ على أولئك القائلين فلا يعبد الله بأجمل من تنفيذ شريعته في خليقته انتهى. وقد اهتمت الحكومة بعد ذلك في استنطاق هذا المتشرد المتسبب، لعنه الله وأخزاه، وسجنته بضعة أيام ثم أطلقت سراحه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولقد خسرنا بوفاة هذا الصديق النبيه رجلاً لا يخلف مثله، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *



(٢٤)

الشيخ محمد بن الشيخ المبارك المغربي الجزائري الدمشقي[1] أحد الأساتذة الأفاضل والأدباء البارعين.

ولد في بيروت سنة (١٢٦٣) أثناء قدوم أبيه إلى الديار الشامية مهاجراً من بلاد الجزائر لما استولى عليها الفرنساويون، ثم يمم والده دمشق واستوطنها إلى أن توفي سنة (١٢٦٩) ونشأ ابنه على كمال وأدب، فحفظ القرآن الكريم، وتلقى طرفاً من العلوم العربية وغيرها على بعض الأساتذة، وحفظ «المقامات الحريرية» عن ظهر قلب، وأكثر من مطالعة دواوين الشعراء، وصارت له ملكة في الصناعتين، فنظم ونثر، وأنشأ عدة مقامات أدبية، واختص بالأمير عبد القادر الحسني الجزائري، واقتصر على مدحه وحصر جميع ما أنشأه من المحاورات والرحلات باسمه، ووظّفه الأمير مؤدباً لأطفاله، فكان له في دار الأمير محلّ على حدة يقرئ فيه أولاده ويؤدّبهم، ثم صار في المدرسة الريحانية أستاذاً لها واختصّ بها، وأقام معه من تلامذته من يعينه في تعليم الأطفال وبعد

---

(١) ترجمته في «الأعلام» (٧/ ٧٧) و«أعلام الفكر الإسلامي» (٢٦٧) و«المعاصرون» (٣٦٦) و«تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (١/ ٢٧٤) و«أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٣٢٢) و«العلماء المغاربة» (٥٦) و«معجم المؤلفين» (٣/ ٦٠٩ و ٦٦٩) و«حلية البشر» (٣/ ١٧٦-١٩) و«تراجم أعيان دمشق» (١١٨) و«هدية العارفين» (٢/ ٣٩٨) و«معجم المطبوعات العربية والمعربة» (٦٩٥) و«منتخبات التواريخ لدمشق» (٢/ ٧٩٢-٧٩٣).

وفاة أخيه الشيخ محمد الطيب سنة (١٣١٤) التف حوله إخوانه ومريدوه، وصار يقرأ لهم كتباً في الرقائق ليلتين في الأسبوع يذهب فيهما مع إخوانه لدور بعض إخوانهم فيقرأ الدرس ثمة. وكان يجيد تصحيح ما يقرؤه ويراجع لضبطه كتب اللغة ويقابله على أصوله. وله دقة في ذلك، وقد استعرت من مصحّحاته كتاب «سيرة ابن هشام» وكتاب «الذريعة» للراغب الأصفهاني، وكتاب «المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى»، وكان عني بتصحيحها وضبطها، والفضل في ذلك لأستاذه وصديقه العلامة الأوحد الشيخ طاهر أفندي الجزائري، فإنه كان يشير عليه بمثل ذلك، والمترجم يأتمر بأمره ويتقبل نصيحته. وكان كثيراً ما يستعير من مصحّحاتي والنوادر التي عندي فأعيره لما كان بيننا من أكيد المودة، وقد اقترحت عليه عام (١٣١٠) أن يتمم ما عندي من مدائح دمشق على ترتيب حروف الهجاء، وكان نقص من ذلك المقفى على قافية الثاء المثلثة والخاء، والذال، والشين، والضاد، والظاء، والغين، والواو وأمثالها مما يقل التقفية عليه فأجاب وأكملها، وضممت ذلك إلى كتابي هذا[1] كما ستراه في محلّه منه عند ذكر مدائح دمشق المنظومة، وأقلَّ الخروج من داره في آخر أمره إلا لدعوة أو حاجة واعتراه مرض أنهكه ولكن تجلد في تحمله وتصَّبر له، وكان للنساء اعتقاد فيه ككل مغربيٍّ متصوف، فكنَّ يقصدنه للرقى والتمائم والصرع، ويأخذ في مقابلة ذلك ما جرت به العادة لأمثاله، وكان لطيف المعشر، رقيق الحاشية، كريم الطبع، سخي الكف،

---

(١) يعني كتابه «تعطير المشام» وهو مخطوط.

بشوش الوجه، كثير الترحيب لزائره، أديباً في جلسته ومحاضرته، له انبساط مع إخوانه وإيناس.

وبالجملة فكان بهجة أقرانه، وكانت وفاته ضحوة الثلاثاء في (٥) جمادى الثانية سنة (١٣٣٠) في الصالحية، وأوصى أن تحمل جنازته بلا عمامة ولا غطاء، وصُلِّيَ عليه في الجامع السليمي في الصالحية، ودفن على والده في سفح قاسيون في المقبرة المنسوبة لذي الكفل عليه السلام.

* * *



خاتمة التحقيق

هذا آخر ما تركه المؤلف رحمه الله من أوراق تتصل بـ«طبقات مشاهير الدمشقيين من أهل القرن الرابع عشر الهجري» وهي قطعة من كتابه الهام «تعطير المشام بمآثر دمشق الشام».

وقد كان الفراغ من تحقيقها والتعليق عليها في ظهيره يوم الاثنين ٢٤ ربيع الأول لعام ١٤٢٦هـ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.



خادم تراث الأسلاف

محمود الأرناؤوط

* * *

فهرس تراجم الكتاب
حسب ورودها فيه

* * *

فهرس تراجم الكتاب
على حروف المعجم

* * *

فهرس مصادر ومراجع التحقيق

١ - إتحاف القاري بمعرفة جهود وأعمال العلماء على صحيح البخاري، تأليف محمد عصام عرار الحسني، اليمامة للنشر والتوزيع، دمشق ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢ - الأسرة الخانية الدمشقية، علماؤها، رجالها، سلالتها، تأليف الدكتور علاء الدين الخاني، دار الفكر، دمشق ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٣ - أعلام الإسلام، تأليف عبد الوهاب سكر، المكتبة العربية، حلب.

٤ - الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف خير الدين الزركلي، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٥ - أعلام الأدب والفن، تأليف أدهم الجندي، مطبعة مجلة صوت سورية، دمشق ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.

٦ - أعلام التراث في العصر الحديث، تأليف محمود الأرناؤوط، مكتبة دار العروبة بالكويت، دار ابن العماد ببيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧ - أعلام الحضارة العربية الإسلامية، تأليف زهير حميدان، وزارة الثقافة، دمشق ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨ - أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، تأليف الدكتور محمد عبد اللطيف فرفور، دار الملاح، دار الإحسان، دمشق ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٩ - الأعلام الشرقية، تأليف زكي محمد مجاهد، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٠- أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، تأليف أحمد تيمور باشا، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

١١- أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر، تأليف محمد جميل الشطي، دار البشائر، دمشق ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٢- تاريخ الأدب العربي، تأليف كارل بروكلمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٣- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، تأليف الدكتور محمد مطيع الحافظ والدكتور نزار أباظة، دار الفكر، دمشق ١٤٠٦-١٤١٢هـ - ١٩٨٦-١٩٩١م.

١٤- تراجم مشاهير الشرق، تأليف جرجي زيدان، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.

١٥- تعريف الخلف برجال السَّلَف، للغول، مؤسسة الرسالة، ببيروت، المكتبة العتيقة بتونس، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٦- الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية، للخاني، تحقيق محمد خالد الخرسة، مكتبة البيروتي، دمشق.

١٧- حريق الجامع الأموي وبناؤه، إعداد الدكتور محمد مطيع الحافظ، مكتبة دار العروبة، الكويت.

١٨- حلية الأولياء، لأبي نُعيم الأصبهاني، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

١٩- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تأليف عبد الرزاق البيطار، تحقيق محمد بهجة البيطار، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

٢٠- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

٢١- ذيل روض البشر في أعيان القرن الثالث عشر، تأليف محمد جميل الشطي، دمشق ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

٢٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، بإشراف عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٣- شرح الأربعين النووية، صنفه محمود الأرناؤوط، راجعه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٤- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٥- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الدكتور محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣- ١٣٩٦هـ - ١٩٦٤ - ١٩٧٦م.

٢٦- عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام، للمرادي، تحقيق الدكتور محمد مطيع الحافظ والدكتور رياض عبد الحميد مراد، الطبعة الثانية، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٧- علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري، تأليف الدكتور محمد مطيع الحافظ والدكتور نزار أباظة، دار الفكر، دمشق ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢٨- العلماء المغاربة وأثرهم العلمي بدمشق الشام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، رسالة تخرج من القسم التأهيلي بمعهد الفتح الإسلامي بدمشق للعام الدراسي ١٩٩٧-١٩٩٨، إعداد عبد اللطيف الذهبي، بإشراف محمود الأرناؤوط.

٢٩- عمدة الأحكام من كلام خير الأنام، للحافظ عبد الغني المقدسي، تحقيق محمود الأرناؤوط، مراجعة عبد القادر الأرناؤوط، دار الثقافة العربية، دمشق.

٣٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، رقّم أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف على طبعه محب الدين الخطيب، القاهرة.

٣١- الفتح المبين لطبقات الأصوليين، للمراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

٣٢- فيض القدير بشرح الجامع الصغير، للمناوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٣- القاموس الإسلامي، تأليف أحمد عطية الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

٣٤- كشف الخفاء، للعجلوني، بعناية أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٥- كشف الظنون، لحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦- كنز العمال، للمتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٧- لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف، القاهرة.

٣٨- مختصر طبقات الحنابلة، تأليف محمد جميل الشطي، بعناية فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٩- مراصد الإطلاع، للبغدادي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٤٠- المعاصرون، تأليف محمد كرد علي، بعناية محمد المصري، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.

٤١- معجم العلماء العرب، تأليف باقر أمين الورد، مراجعة كوركيس عواد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤٢ – معجم المطبوعات العربية والمعربة، لسركيس، طبعة مصورة عن طبعته الأولى، القاهرة.

٤٣ – معجم المفسرين، تأليف عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤٤ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تأليف محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٥ – معجم المؤرخين الدمشقيين، تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

٤٦ – معجم المؤلفين، تأليف عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٧ – منتخبات التواريخ لدمشق، تأليف محمد أديب آل تقي الدين الحصني، تقديم الدكتور كمال سليمان الصليبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

٤٨ – نموذج من الأعمال الخيرية في إدارة الطباعة المنيرية، تأليف محمد منير عبده آغا الدمشقي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

٤٩ – النور السافر عن أخبار القرن العاشر، للعيدروس، تحقيق أحمد حالو، محمود الأرناؤوط، أكرم البوشي، دار صادر، بيروت ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٥٠ – هدية العارفين، تأليف إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

* * *

المحتوى

* * *

من آثار المحقق المطبوعة [1]

أولاً: التعريف ببعض الكتب التي ألَّفها:

١ - أعلام التراث في العصر الحديث، طبع مكتبة دار العروبة بالكويت، ودار ابن العماد ببيروت.

٢ - الكشكول الصغير، طبع مؤسسة الرسالة ببيروت، ثم مكتبة دار العروبة بالكويت، ودار ابن العماد ببيروت.

٣ - المخطوطات العربية في ألبانيا، طبع دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر ببيروت.

ثانياً: التعريف ببعض الكتب التي أنفرد بتحقيقها:

١ - أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، للحوت، طبع دار الفكر ببيروت

٢ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، طبع دار ابن كثير بدمشق

٣ - فتاوى الإمام النووي، لابن العطار، طبع دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر ببيروت.

ثالثاً: التعريف ببعض الكتب التي حققها بالاشتراك مع آخرين:

١ - تاريخ فنون الحديث النبوي، للخَولي، طبع دار ابن كثير بدمشق.

٢ - تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلا، لتقي الدين الفاسي، طبع دار صادر ببيروت.

---

(١) لمعرفة المزيد عن آثار المحقّق المطبوعة، راجع كتابه «سيرتي بقلمي وأقلام ثلّة من أصدقائي» الصادر عن دار المأمون للتراث بدمشق سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، بمناسبة بلوغه الخمسين من عمره.

٣- تكملة مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور، طبع دار الفكر بدمشق.

رابعاً: التعريف ببعض الكتب التي أشرف عليها وقدَّم لها:

١- الأوائل[1]، لابن قتيبة، طبع دار ابن كثير بدمشق.

٢- تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، للهيتمي، طبع دار ابن كثير بدمشق.

٣- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، طبع دار صادر ببيروت، ومكتبة الرشد بالرياض.

خامساً: التعريف ببعض الكتب التي راجعها وقدَّم لها:

١- دول الإسلام، للذهبي، طبع دار صادر ببيروت.

٢- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربىٰ، لمحب الدين الطبري، طبع دار الصحابة بجُدَّة.

٣- المعتمد في فقه الإمام أحمد، للشيباني وابن ضويان، طبع دار الخير بدمشق.

سادساً: التعريف ببعض الكتب التي قدَّم لها:

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل[2]، للبيضاوي، طبع دار صادر ببيروت.

٢- فهارس الحُجَّة للقراء السبعة، إعداد الأستاذ عبد العزيز رباح، طبع دار المأمون للتراث بدمشق.

٣- القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي، للشماع، طبع دار صادر ببيروت.

* * *

---

(١) وهو نص مستخرج من كتاب «المعارف».

(٢) المعروف اختصاراً بـ«تفسير البيضاوي».